جامعة محمد بوضياف بالمسيلة

كلية العلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية

قسم علم النفس

الرقم التسلسلي:.....

التفضيل الوالدي و علاقته بطبيعة التقمصات لدى الأطفال المتمدرسين

- دراسة ميدانية بإبتدائية الشهيد شنيح محمد بالمسيلة -

مذكرة مكملة لنيل شهادة الليسانس في علم النفس

- تخصص علم النفس العيادي -

إعـداد الطالبتين :

* صليحة مقدر

* مسعودة الشين

إشراف الأستاذة :

د / سفاري لبنى

السنة الجامعية 2018 - 2019

كلمة شكر

أولا و قبل كل شيء الحمد لله الذي أعانني ألهمني و قدرني و وفقني حمدا كثيرا و أنعم عليا بالعقل و الصحة لإتمام هذا العمل

و عرفانا بالفضل فإننا نتقدم بأسمى آيات الشكر و التقدير و العرفان للدكتورة "سفاري لبنى" التي أشرة على هذه المذكرة بنصائحها القيمة و إنتقاداتها البناءة و خصصت لنا من وقتها الثمين

كما لا أنسى أن أتقدم بجزيل الشكر لطالبة الماستر "هدى" على إعنتها لي طوال مشاوري العلمي هذا و مساعدتها لي و نصائحها التي قدمتها لي من خلال خبرتها في الميدان

و أشكر كل من ساعدني من قريب أو من بعيد و لو بكلمة أو دعوة صالحة

مسعودة صليحة

إهداء

أهدي هذا العمل المتواضع إلى من يعجز اللسان عن وصف مكارمهم:

إلى من رباني على الكلمة الصحيحة والفكر الأيل

إلى من أنارت لي طريق النجاح بدفئها إليكي أنت يا قرت عيني أمي العزيزة

إلى من قدس العلم وعمل جاهدا على إتمام دراستي الذي لم يبخل علي بنصائحه وعلمنا معنى الاجتهاد إليك انت يا أبي

إلى إخوتي وأخواتي : وليدة ، بسمة، يوسف، أحلام، إخلاص، عبدو

إلى بنات إخوتي: دعاء، ساجدة ، لميس ، رحاب ، إيناس

إلى كل هؤلاء أهدي ثمرة جهدي

مقدمة:

مقدمة:

تلعب المقابلة الوالدية دورا بالغ الأهمية في مجال الدراسات النفسية والاجتماعية، إذ تعتبر التنشئة الاجتماعية من الوظائف الأساسية للأسرة، ولأن أساليب المعاملة الوالدية من أهم العوامل التّي تشكل شخصية الطفل، حيث يتوقف بناء الشّخصية السوية للأطفال على الأساليب السوية التّي يتبعها الوالدان في معاملتهم من عطف ودفئ أسري، كما يتوقف بناء الشّخصية الغير سوية للأطفال على الأساليب غير السوية في معاملة الوالدان للأطفال من إهمال ونبذ ورفض وحماية زائدة تنعكس سلبا في تربية الطفل.

ولأن الأسرة هي أوّل المؤسسات الاجتماعية المنوطة بالتنشئة الاجتماعية للطفل، حيث يولي علم النفس للصّحة النفسية للأسرة أهمية كخاصة سواء من المنظور الإيجابي أو من المنظور المرضي أو السلبي واضعين في اعتبارهم الأسرة كبناء وأسلوب حياة من تأثير فعال.

والواقع أنّ هناك العديد من الدراسات والأبحاث التّي صعب حصرها ويتفق جميعها على أنّ مفهوم الأسرة هو تا تصنعه البيئة على أساس اجتماعي وقانوني وإن الأسرة هي البيئة الأولى التّي يمارس فيها الطفل أوّل علاقاته الإنسانية والاجتماعية.

كما يرجع كثير من الباحثين على أنّ الأسرة كونها المحيط الاجتماعي الأوّل الّذي يتعلم فيه الطفل النماذج الأساسية لمختلف الاتجاهات والسلوكات فضلا عن دلالاتها السلوكية فهي مصدر الطمأنينة للطفل، وتحدث للأسرة كلّ هذه التأثيرات عن طريق التفاعل بين أفرادها، إذ تؤكد الدراسات الحديثة أنّ العلاقات الأسرية يمكن أن تكون عاملا مساعدا في ارتقاء القدرات المختلفة للطفل أو تكون عاملا معوقا حيث يعتمد نمو الطفل، وتطوره إلى حد كبير على المحيطين به.

إنّ الواقع النفسي للأطفال المرتبط بعلاقتهم بمواضيع الحب الأولى، يستند إلى الاستثمار النفسي للوالدين لطفل معين دون غيره، هذا الاستثمار النفسي الخاص قد يكون إيجابيا أو سلبيا وقد يكون وجدانيا مرتبطا بالعلاقات السابقة للوالدين أنفسهم وبتصوراتهم عن

الطفل الهوامي والطفل الواقعي، ويؤثر في طريقة تعاملهم مع أطفالهم وهو ما يمثل رسائل اتصالية يدركها الأطفال كتفضيل إيجابي أو سلبي والذي يتفاعل مع تكوين الصور الوالدية والتقمص بها.

تعتبر أساليب المعاملة الوالدية من أهم العوامل التّي تشكل شخصية الطفل، حيث أنّ أساليب المعاملة الصحيحة تتمثل في إدراك الطفل من خلال معاملة والديه له من معاملة طيبة، ففي هذه الحالة يشغل الطفل بحب والديه الثابت والدائم له كما يشغل بالدفء الأسري من جانب والديه.

أمّا الضبط المفرط للأبناء فيحد من إمكانية ممارسة أدوارهم كشخصيات لها استقلالها وقد يولد العدوانية، وهذا هو معنى التشدد والحماية الزائدة، وكلاهما يعوق النمو والإهمال قد يؤدي إلى الميل إلى الانطواء، وتسهم الاستقلالية في نماء شخصية الطفل، بيد أنّ هذا كله رهن إدراك الطفل لهذه الاتجاهات وتأثره بها.

كما تمثل المعاملة الوالدية، طريقة التربية، بنية الأسرة، ونوعية العلاقات بين أفرادها، ضف إلى ذلك قدرة الطفل على بناء تقمصات أكثر مرونة عوامل لها قيمة في فهم إشكالية الطفولة، ومدى استعداد الفرد للتوجه نحو الاعتماد على مواد خارجية، مدفوعا بمدى هشاشة أو نضج شخصيته، إذ أنّ البناءات التّي يحققها الفرد في مرحلة الطفولة هامة لتحديد ما له في مراحل لاحقة من عمره، لذا فقد كان تناولنا في هذا البحث من خلال التركيز على المعاملة الوالدية وكذلك طبقت التقمصات لدى الأطفال المتمدرسين، ففي ظل هذه المتغيرات يمكن أن تتضح أكثر إشكالية التقمصات من خلال أساليب المعاملة الوالدية.

و عليه مخطط بحثنا وفق المنهج التالي:

و قد قمنا بتقسيم درستنا الى جزئين رئيسين:

الجزء الأول: الجانب النظري و قسمناه الى فصلين الفصل الأول بعنوان **التفضيل الوالدي**، **و** ذكرنا فيه

تعريف الأسرة، مفهوم المعاملة الوالدية (التقصير العاطفي)، العوامل المؤثرة على سلوك الوالدين اتجاه الأبناء، الطفل والعلاقة بين الوالدين، أساليب المعاملة الوالدية، غير الطفل من أخيه، انفعال الغيرة، الصورة الهوامية حسب ميه نيكلاين، أنواع الصور الهوامية.

أما الفصل الثاني بعنوان **طبيعة التقمصات** و ذكرنا فيه مفهوم السياق التقمصي، تعريف التقمص، أنواع التقمص، اتقمص وعوامل التطور النفسي– الجنس لدى الفرد، التمايز التقمصي لدى الجنسين.

أما الجزء الثاني الجانب التطبيقي و تناولنا فيه المنهج المتبع، دراسة حالة، مجموعة البحث، أدوات البحث، مناقشة الفرضيات على ضوء النتائج.

الفصل التمهيدي

1- الإشكالية:

2- صعوبات البحث:

3- أهداف الدراسة:

4- أسباب اختيار الموضوع:

5- أهمية الدراسة:

1-الإشكالية:

من المعروف أنّ لكل أسرة فقيرة أو غنية جاهلة أو متعلمة أسلوبها الخاص في رعاية طفلها، وهذه الأساليب منها ما هو موروث ومنها ما هو مكتسب من مصادر الثقافة المتعددة من المجتمع. (إبراهيم عبد الكريم الحسين، 2002، ص73)

ومن بين أساليب المعاملة الوالدية التّي نتناولها في الدراسة والتّي تقيس ما يدركه الأبناء نحو معاملة الآباء لهم في المواقف المختلفة منذ الطفولة المبكرة من بين الأساليب نذكر التفرقة والتفضيل في المعاملة بينهم وهذا ما من شأنه أن يؤثر على النمو المتكامل، ويجعل الطفل يشعر بالظلم والقسوة ويجعله يكون اتجاهات سلبية نحو الوالدين وراهية الإخوة والأخوات لبعضهم البعض ومن شأن ذلك أن يؤدي إلى شخصية أنانية تعودت أن تأخذ دون أن تعطي وتحب أن تستحوذ على كلّ شيء لنفسها، حتّى ولو كان على حساب الآخرين، ومن أوائل الّذين تناولوا أثر المعاملة الوالدية في إصابة الأبناء بالمرض النفسي هو فريد (Freud) حيث يرى أنّ ما يزرعه الوالين في نفوسهم خلال السنوات الأولى سيظهر لاحقا على شخصيتهم.

وبناء شخصيتهم حسب فريد تتدخل فيه اولويات أساسية، فمن أولويات بناء الشّخصية نذكر في ذلك التقمص، وهو عبارة عن عملية نفسية يتمثل الشّخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص وصفات شخص آخر ويتحول جزئيا أو كليا تبعا لنموذج (LAPLANCHE (J.) PSYCHANALYS'EB,1999,P187)

إنّ الإرصان الجيد لهذه السيرورة النفسية التطورية يتوقف على نوعية العلاقات مع المواضيع البدائية والتقمصات التّي تم استدخالها، لذلك فإنّ نجاح الطفولة وباقي المراحل العمرية في هذا المسار العلائقي يتوقف على طبيعة التقمصات التّي يحملها وقدرته على إرصان مواضيعه البدائية.

ودراسة التقمصات من وجهة النظر الميناسيكولوجية جد مرتبطة ببناء الشّخصية، غنها شرط التنازل عن الموضوع وفي نفس الوقت الاحتفاظ به، من حيث أنّه عملية تعويضية ناتجة عن فقدان موضوع كان يستثمره الأنا، هذا الفقدان يمثل الدافع إلى التقمص كي يتمكن الفرد من التعويض، عن طريق إدماج صفة من صفات الموضوع المفقودة بالأنا،

فالتقمصات مرتبطة بالجانب البنائي، بناء يتم داخل الفرد لاستدخال سمات من الخارج، من خلال سيرورة نفسية لاشعورية مستعدة.

فالتقمص له دور أساسي في إرصان العقدة الأوديبية، أين يكون السياق التقمصي هو مخرج هذا الصراع حيث يجعل بالطفل من والده مثلا يقتدى به، فهذا الميكانيزم يأتي "لإصلاح الإحباط والجرح النرجسي الّذي يتعرض له الطفل لاستحالة تحقيق رغباته الليبيدية هذه الاستحالة مرتبطة بالممنوع والمحرم الّذي يحول دون تحقيق الرغبات في المحارم". (شرادي نادية، 2011، 191)

ممّا سبق نأتي لطرح التساؤلات التالية:

التساؤل الرئيسي: هل ترتبط نوعية التقمصات الوالدية بالتفضيل الوالدي؟

التساؤلات الفرعية:

1) ما مدى ارتباط التقمصات المرنة بالتفضيل الوالدي الإجابي لدى الأطفال المتمدرسين؟
2) ما مدى ارتباط التقمصات الهشة بالتفضيل الوالدي السلبي لدى الأطفال المتمدرسين؟

وللإجابة على هذه التساؤلات تم طرح فرضية عامة مفادها:

ترتبط نوعية التقمصات بطبيعة التفضيلات الوالدية.

وفرضيات جزئية:

1) قد ترتبط التقمصات المرنة بالتفضيل الوالدي الإجابي لدى الأطفال المتمدرسين.
2) قد ترتبط التقمصات الهشة بتفضيل الوالدي السلبي لدى الأطفال المتمدرسين.

2- صعوبات البحث:

من بين الصعوبات التّي وجدناها خلال عملية بحثنا هي:

- عدم توفر المدرسة على قاعة فارغة حيث لتمت المقابلات مع الحالات في قاعة الأساتذة.
- رفض أهل الحالات من تلبية الاستدعاء الّذي وجه لهم من قبلنا.
- عدم توافر مراجع وكتب تخدم موضوع التفضيل الوالدي وهذا ما أدى بنا إلى الحديث عن المعاملة الوالدية كأسلوب ينتهجه الآباء في عملية التفضيل.

3- أهداف الدراسة:

- دراسة العلاقة بين التفضيل الوالدي وطبيعة التقمصات عند الأطفال.
- معرفة المتغيرات التّي حددت في الإشكالية أسلوب الإسراف في التدليل، الإهمال، حرمان، التفرقة والتمييز في المعاملة ومدى تأثيرها على طبيعة التقمصات لدى الأطفال.
- التعرف على طبيعة التقمصات التّي نجدها عند الطفل الّذي يتراوح عمره ما بين 07 و09 سنوات ومدى تأثيرها على حياته اليومية.
- مساعدة الأهل والمربين للتعرف على مشكلات التفضيل الوالدي بين الأبناء والتحسيس بخطورة إهمالها.

4- أسباب اختيار الموضوع:

من الأسباب التّي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع هي:

- الرغبة في دراسة التفضيل الوالدي وعلاقته بطبيعة التقمصات لدى الأطفال المتمدرسين.
- توفر مجموعة البحث ومكان إجراءه والذي يتواجد في نفس الولاية التّي أقيم فيها.
- إثراء مواضيع جديدة لأنّ دراسة التفضيل الوالدي وعلاقته بطبيعة التقمصات يعتبر كموضوع جديد لم يتناول من قبل.
- تأثر الأطفال بالمشكلات النفسية الأسرية التّي تعيق نموهم السليم وتحصيلهم الدراسي والتّي يمكن أن تتطور لديهم مع الإهمال.

5-أهمية الدراسة:

تتحدد القيمة العلمية لكل بحث علمي من خلال الأهمية التّي يرمي إليها، حيث تكمن أهمية بحثنا في النقاط التالية:

- الكشف عن التفضيل الوالدي وعلاقته بطبيعة التقمصات لدى الأطفال المتمدرسين.
- معرفة مدى تقبل الأطفال لهذه التفضيلات الوالدين.
- إعطاء صورة عن الحياة النفسية للأطفال يمارس عليهم التفضيل الوالدي.

6 - الدراسات السابقة:

صالح حزين السيد (مصر 1993) موضوعها إساءة المعاملة للطفل، هدفت الدراسة إلى التعرف على نوع الاضطرابات السلوكية والنفسية المرتبطة بإساءة معاملة الطفل (إهمال، عنف، تسلط) دراسة إكلينيكية تكونت من مجموعة من الحالات المدروسة من ثلاث حالات بنات أعمارهن على التوالي: 04 سنوات، 05 و08 سنوات، ويعانين من اضطرابات سلوكية

ونفسية نتيجة إساءة من قبل آبائهن عليهن، وقد استخدمت الدراسة أداتين هما اللعب كوسيلة تشخيصية وعلاجية والملاحظة، كما استخدم التحليل لدى الأطفال، وأبدى الأطفال (البنات) الثلاثة من خلال الدراسة عدوانية وعدم القدرة على التحكم في الانفعالات وردود الأفعال، وبالرغم من محاولة الأطفال الاستقلال إلّا أنّه قد ظهرت عليهم علامات عدم الرغبة في الاستقلال والغضب وعدم الثقة والخجل. (صالح حوين، 1993، ص500)

وكذلك نجد دراسة القاسمي (2008) والتّي أشارت نتائج تحليل استجابة الأطفال لاختبار CAT أنت الأطفال من ذوي نقص الانتباه/فرط الحركة يعانون من اضطراب في صورة الذات والوالدين والبنية المحيطة بالطفل، فضلا عن الصراعات والإحباطات.

وكذلك "Freud" الذي ناقش مصطلح التقمص مناقشة صريحة لأول مرة عام 1917، إذ اعترف بالوظيفة التعليمية التّي يقوم بها التقمص لميكانزيمات يتم من خلالها التعلم الاجتماعي للطفل.

واعتباره الأساس الّذي يتند عليه وجهة النظر هذه في تفسير التعلم الاجتماعي هي إدراك الطفل للرعاية الوالدية والجو الأسري المحيط به لأنّ هذه الدعاية كما يدركها الأبناء هي حجر الزاوية في البناء النظري للتفسير (مصطفى أحمد تركي 1974) عن Freud (1917) ص119).

أمّا دراسة "محمود عبد القادر 1966": أثر الدفء العاطفي والانسجام الأسري على شخصية الطفل، فقد وجدت علاقة ارتباطية دالة بين تقبل الآباء لأبنائهم والانسجام الأسري، فقد كان الأبناء الّذين يعيشون في أسر يسودها الدفء العاطفي والتوفق الأسري أكثر تقبلا لذواتهم، وأكثر تحررا من عوامل القلق، كما أنّهم أكثر شعورا بالرضا. (محمد محمد بيومي خليل، 1999، ص17).

الفصل الأول

التفضيل الوالدي

1- تعريف الأسرة:

2- مفهوم المعاملة الوالدية:

3- العوامل المؤثرة على سلوك الوالدين اتجاه الأبناء:

3-1- موقع الطفل في الأسرة:

3-2- الطفل الأكبر:

3-3- الطفل الثاني والثالث:

3-4- الطفل الوحيد:

3-5- الطفل الأصغر:

4- أثر طفولة الوالدين على الأبناء:

5- أثر جنس الطفل على سلوك الوالدين:

6- الطفل والعلاقة بين الوالدين:

6-1- علاقة طفل أم:

6-2- علاقة الطفل وأبيه:

7-أساليب المعاملة الوالدية:

7-1- الإسراف في التدليل:

7-2- الحرمان - الإهمال:

7-3- التفرقة والتمييز في المعاملة – المفاضلة:

7-4- التقبل الوالدي:

8-**غيرة الطفل من أخيه:**

9- انفعال الغيرة:

تمهيد:

إن عملية التنشئة الاجتماعية أو التطبيع الاجتماعي التي يتعرض لها الطفل في تفاعله مع الأفراد والجماعات تؤثر بشكل واضح في تبنيه الدور الاجتماعي الملائم لبيئته وثقافة مجتمعه . ولاشك إن للأسرة دورا هاما في تنشئة الطفل ورعايته بدءا بمرحلة الطفولة المبكرة وانتهاءا بمرحلة الرشد. وتحتل أساليب الوالدين في تنشئة الطفل مكانة هامة في تكوين شخصية الفرد فإذا كانت هذه الأساليب ملائمة فذلك سينعكس ايجابيا على سمات الشخصية والسلوك للطفل إما إذا كانت أساليب التنشئة غير ملائمة فان ذلك سينعكس سلبيا على سلوك الطفل و عليه سنتطرق في هذا الفصل إلى أهم أساليب المعاملة الوالدية و تأثيرها على نفسية الطفل.

1- تعريف الأسرة:

هي الخلية الأولى للمجتمع وهي التّي تحفظ للمجتمع تراثه، والتّي تلقي الطفل مبادئ الحياة الاجتماعية وفيها يتعلم أيضا معنى المسؤولية، والتّي تربي لديه الوعي الاجتماعي، وعنها يأخذ مبادئ السلوك الاجتماعي، كما تلعب الأجواء الأسرية دورا رئيسيا في ترسيخ القيم والمعتقدات في نفوس الأطفال (محمد محمد بيومي خليل، 1999، ص13).

كما يمكن تعريفها بأنّها أوّل بيئة تضم الطفل، وتسعى لإشباع حاجاته الأساسية والثانوية، أين يتوحد تقييمها ومعاييرها ويسلك سلوكها فيتعلم بذلك السلوك الاجتماعي.

2- مفهوم المعاملة الوالدية:

من خلال اطلاعي على مختلف المصادر والمراجع في ميدان علم النفس لاحظت أنّ تعاريف هذا المفهوم تتعدد بتعدد الباحثين والخبراء النفسانيين المهتمين بهذا الموضوع، وبالتالي تم ضبط هذا التعريف:

يعرفها "نعيم الرفاعي" (1972): المعاملة الوالدية بأنّها:

- "تشير إلى أنّ الوالدية عدة أساليب خاصّة من السلوك اتجاه أولادهما في المناسبات المختلفة التّي يكون فيها الأولاد طرفا، اكانت هذه المناسبات داخل المنزل أم كانت خارجه، وهذه الأساليب نجملها في المعاملة".

فإذا لاحظنا قسوة الأب في عقابه لابنه، فنحن أمام شكل من أشكال المعاملة، وإذا رأينا مصارحة بين الأم وابنتها فنحن أمام أسلوب من أساليب المعاملة (نعيم الرفاعي، 1972، ص382).

حسب وجهة نظري أرى أنّ تعريف "نعيم الرفاعي" (1972) للمعاملة الوالدية في حقيقته لم يعبر سوى أنّ هناك أساليب متعددة من السلوك تقع على الأطفال في مختلف المناسبات، وبالتالي هنا هل الأبناء تمكنوا من تكوين تصورات عن أساليب المعاملة الوالدية؟ فقط اكتفى

بوصفها، وبالتالي تصور الأبناء للمعاملة الوالدية سيساعدهم على أخذ أنماط من السلوك أو إلى التخلي عن أنماط أخرى من السلوك.

وبالتالي انطلاقا من الأساليب التّي ينتهجها الأبناء على أبنائهم، قد يكون بها أثر على تكوين لتصورات الأبناء خاصّة المعاملة الوالدية أثناء تنشئتهم الأسرية والاجتماعية التّي يتم من خلالها تكوين الأبناء وتعليمهم السلوكات والمهارات الاجتماعية.

وكذلك تعرفها "د: فايزة يوسف عبد المجيد" (1995):

- "في آراء الأبناء أو تمييزهم عن نوع الخبرة التّي تلقوا من خلال معاملة والديهم، وممّا يتمثل في الرأي الّذي يحمله الابن في ذهنه ويدركه في شعوره عن معاملة أبيه أو أمه له".

وهنا يكون الاهتمام بالأبناء بالآثار السلوكية والمعاملة التّي يتلقونها والنفسية المترتبة على طرق معاملة الوالدين للأبناء، وبدون أن ننسى التسليم بفاعلية الأبناء في تمثل آثار هذه المعاملة ممّا ينعكس على سلوكهم (فايزة يوسف عبد المجيد، 1995، ص122).

ومن خلال هذا التعريف ترى الباحثة أنّ الأطفال تمكنوا من بناء تصورات وإدراكات عن نمط المعاملة التّي يمارسها الوالدين سواء السوية منها أو الغير سوية.

مفهوم التقصير العاطفي:

إنّ الأبحاث حاليا تدور حول النتائج البعيدة لهذه الحرمانات المبكرة، في المجالات الخطرة يصبح أحيانا من المستحيل تعويض هذا النقص الأساسي الّذي يتبلور في سقوط جسمي أو في استحالة إقامة علاقات اجتماعية مع شخص آخر (الحب أو تلقي الحب).

إنّ الخطورة من هذه المواقع، حيث يشب الفرد (في شكل بين الاضطرار المأساوي) رافضا تعويض النقص الأصلي حيث يصعب انتشاله، تظهر بوضوح عندما نواجه العوامل النفسانية للجنوح (دولي 1951).

هناك بعض الملاحظات تفرض نفسها حول استخدام مفهوم التقصير في التحليل النفسي.

من جهة فإنّ راكامييه يميز بوضوح المرض التقصيري عن العصاب، فالحرمان يدخل في الحياة تقصيرا اوليا لا يخرج منه الفرد إلّا منتقصا، فلا يعود ممكنا في حال الإحباط المأزمي للرغبات، تجاوز الحالة بأن يكون حلها تجربة إعدادية كما في عقدة أوديب.

فالإحباط الّذي نجده عند العصابي ليس له ابدا أصالة هذا التقصير الحقيقي من جهة أخرى، فإنّ العلاقة مع الأهل، التّي تبقى في العصاب، تسمح للفرد بأن يدخل مجال التماهيات الخيالي، بينما الوالد المقصور يبقى خارج هذه العلاقة.

وأخيرا يجب الإشارة إلى خطر إعطاء مفهوم التقصير دورا مهيمنا، أو حصريا في علم النفس المرضي التحليلي، فهذا يعني العودة إلى النظرة الهدمية للعصاب، بينما هناك عوامل عديدة أخرى تتدخل، لقد كان لعلم المرض التقصيري فضل إظهار العلاقة المتبادلة النفسية- الجسمية في مستقبل الولد، والضرورة الملحة لصورة الأم- أكان ذلك من الأم أم من بديلتها- حتّى يستطيع الولد إقامة علاقات غيرية، إلّا أنّه ما من شك بأنّ التغيرات النوعية لهذه العلاقة الأولية قد تشوش نمو بالولد في العمق، بقطع النظر عن أي عامل تقصيري بحت (فيكتور سمير نوف، ص170- 171).

ويرى العياديون أنّه من غير اللائق أن نفكر أنّ الطفل مخلوق سلبي يعيش تحت رحمة المحيطين به، ويمكن أن يتم تشكيل سلوكه وتكوين شخصيته وتحديد جميع جوانب نموه اعتمادا على رغبات الآباء والأمهات، إذ أنّ مثل هذا المنظور قد يعود بكثير من الأخطاء نظرا لأنّ العلاقة بين سلوك الوالدين وسلوك الطفل هي علاقة تفاعلية كاملة، وأنّ تنشئة الطفل تعتمد في جانب كبير منها على طبيعة الطفل نفسه، والتّي يمكن أن يكون لها تأثيرا انفعالا علي الكيفية التّي يتعامل بها الوالدين معه.

3- العوامل المؤثرة على سلوك الوالدين اتجاه الأبناء:

3-1- موقع الطفل في الأسرة:

يرجع الفضل هنا إلى (Adler) الّذي كشف تأثير موقع الطفل في الأسرة على شخصيته والاختلاف بين الطفل، وآخر في الأسرة، يعود إلى موقعه فيها:

- فهل هو الابن الأوّل، أو ما نسميه (البكر)؟
- وهل هو طفل وحيد في الأسرة؟

كلّ هذا وذاك تحيلنا إلى أنّ موقع الطفل، هو موقع مميز في الأسرة، يتدخل في تشكيله ظروف أسرية وكذا عادات وتقاليد وأعراف، كما أنّه يمكن القول أنّ تفضيل البنين عن البنات غالبا ما يكون مصحوبا بنقمة مكبوتة من الأخت على أخيها كردة فعل عكسية على المشاعر المكبوتة.

3-2- الطفل الأكبر:

الطفل الأكبر هو تجربة الوالدين الأولي في التربية، وهو الّذي يتحمل المسؤولية مبكرا عن بقية إخوته الصغار إلى جانب الأب والأم، وغالبا ما تكون هذه المسؤولية التّي يتلقاها الابن الأكبر مبكرة ولا تناسب سنه، فهو في هذه الحالة يجمع في شخصيته بين صيغة الأخ الأكبر ونائب الوالدين، وهم قليلون جدا من يستطيعون أن يوائموا بين كلّ هذه الأدوار (محمد أيوب الشحيمي، 1994، ص104).

وبدليل ما نلاحظه في المجتمع الجزائري، فنجد أنّ الابن الأكبر هو أكثر الإخوة من يلقي عليه اللوم إذا أخطأ لاعتباره القدوة للإخوة والرفيق للوالدين.

ومن العبارات الدالة من طرف الوالدين التّي تثبت حجم المهمة الملقاة على الابن الأكبر (أنت الكبير، أنت رجل البيت، أنت سيدة البيت).

وكذلك نجد أنّ إذا دخلت الأسرة في أزمة مادية أو شيء من هذا فإنّه أوّل المتطوعين في ذلك حتّى وإن كانت المهمة الملقاة عليه تتناسب وسنه والواقع يبين ذلك.

3-3- الطفل الثاني والثالث:

فهنا الملاحظات الموجهة من طرف الآباء عن الترتيب بين الطفل الأكبر وبقية الأطفال تختلف، وذلك لكونهم اكتسبوا الخبرة والدراية في كيفية الرعاية والمعاملة الوالدية من خلال التجربة الأولى مع الطفل الأكبر تنقل التخوف والقلق والتوتر والشعور بالفشل الّذي ينجم عنه قلة الخبرة في ميدان التربية والرعاية الوالدية وبالتالي نقل عوامل التأثير النفسي للابن الثاني والثالث (محمد عماد الدين اسماعيل، 1981).

3-4- الطفل الوحيد:

على حسب "فرج عبد القادر طه" (1979):

- "يرى بعض العلماء أن اضطراب الشّخصية والضعف النفسي في الطفل الوحيد يعود لكونه يحتل مكانة خاصّة في المنزل" وكذلك أنّ الآباء يشبعون رغبات الطفل الوحيد سواء تعمدوا ذلك أو لم يتعمدوا، وبالتالي يفسدونه بالإفراط والتدليل الزائد والتوحيد والرعاية الزائدة، وبالتالي يجعل منه اعتمادي على والديه اعتمادا زائدا في تصريف أموره (محمد ايوب الشحيمي (1994) عن فرج عبد القادر طه (1979): ص105).

في الغالب يمنح هذا الطفل عطفا ورعاية زائدة ممّا تعيق تصرفاته بمفرده، فنجده وحيدا في أسرته لا يجد إخوة معهم في علاقات اجتماعية، والتّي من خلالها يتمكن من التنفيس عن مختلف انفعالاته ورغباته أثناء اللعب معهم.

3-5- الطفل الأصغر:

هو الطفل الّذي يكون محور التدليل والاهتمام من طرف الوالدين وكذلك الإخوة، فبعض الأهالي يطلقون عليه اسم "نهاية العنقود" والبعض الآخر يطلقون عليه اسم "الولد الزائد" لأنّه طفل لم يكن ينتظر وبالتالي عندما يسمع الولد هذه العبارة يصبح غير مباليا طالما أنّه جاء للكون والوجود نتيجة غلطة (محمد أيوب الشحيمي، 1994).

وقد سمي بالولد الزائد نتيجة لمجيئه في غير موعده أو للظروف المادية للأسرة أو لكثرة سفر الوالدين وعدم استقراراهم أو جنس غير مرغوب فيه أو تشوه أو مرض يعاني منه هذا المولود، وبالتالي الموقف الغير مرغوب فيه من طرف الوالدين سيعاني منه الطفل أشكالا كثيرة من الصعوبات المعاملة الوالدية والتفضيل الوالدي.

4- أثر طفولة الوالدين على الأبناء:

إذا شب الطفل سواء كان ذكرا أو أنثر في جو يفتقر إلى مشاعر الحب والرعاية والحنان التّي تنعش حياة كلّ طفل في حياته الأولى، وبالتالي ما يبقي عالقا في ذاكرته سوى صور الحرمان العاطفي الّذي لم يحس به ولم يدرك معناه وبالتالي نرى حتّى وإن نما هذا الطفل نموا فيزيولوجيا عاديا، واستطاع هذا الطفل في المستقبل أن يكمل نصفه الآخر عن طريق الزواج، كان كلّ همه أن لا تتكرر تجربته المريرة مع أطفاله، فتراه يشبعه بالحب والحنان والعطف التّي لم يحس بها في صغره، وإنّما عرفها عن طريق اختلاطه بغيره من الأطفال السعداء (باسمة كيال، 1993).

وكما يقول المثل: "فاقد الشيء لا يعطيه" فإذا كان الأب أو الأم قد عانوا من حرمان عاطفي أو مادي في طفولته، فإنّه بصورة لا شعورية ينقلون هذه الأحاسيس السلبية بالى أبنائه في شكل أساليب سوية تؤدي به إلى سوء معاملة الأبناء.

ومنه فهذه الفكرة قد بينها محمد أيوب الشحيمي: (1994) مفادها أنّ هناك عدة صلات معقدة يتم الأباء التدخل فيها والتّي تخص الأبناء لغير مصلحة حقيقية لأبنائهم، بل سبب حالات نفسية خاصّة بهؤلاء الآباء والأمثلة عديدة لهذا التدخل نذكر منها ما يلي:

أ- الآباء الّذين خشوا في تحقيق أهداف معينة لسبب أو لآخر يدفعون بأبنائهم الّذين هم سر استمراريتهم إلى التعويض وتطبيق الهدف الّذين منعوا وعجزوا عن تحقيقه.

ب- الآباء الّذين عوملوا معاملة قاسية من آبائهم يحاولون بطريقة إسقاطية معاملة أولادهم بنفس الطريقة.

ج- الأمهات اللواتي قبلن على مضض بنمط إنجابهن وبطبيعة عملهم ويحاولون زجر بناتهن عن نفس الخطأ الّذي وقعن فيه، فالزوجة التّي تكره مهنة معينة مثلا لأنّ زوجها يمتهنها وهي ترفضها بطريقة لا واعية فإنّها تحث ابنتها على عدم اختيار رجل يمتهن تلك المهنة مهما كانت إيجابياته الخلقية أو العلمية (محمد ايوب الشحمي، 1994: ص108- 109).

5- أثر جنس الطفل على سلوك الوالدين:

لكل طفل مميزات خاصّة به، كالذكاء مثلا، الوسامة، الاكثر حساسية وهناك أيضا عامل الجنس، فتباعا للتقاليد السائدة نجد تفضيل الذكور على الإناث باعتبار أنّ الذكر حامل للقب العائلة، إلّا أنّ للمجتمع تقاليد، على الأفراد اتباعها من كلا الجنسين، وإن خالفوا هذه التقاليد فإنّه يتعرض للرفض، فالبنت التّي تلعب كما يلعب الولد تتعرض للسخرية، أمّا الذكر إذا لعب كما تلعب البنت يتعرض للنقد، لأن أدوار الإخوة قائمة في المجتمع على بداية البشرية، فتفضيل أحد الوالدين جنسا على آخر ينعكس على سلوكهم نحو الابن رغم أنّهما يضفيا على هذا التحيز لأحد الأبناء، ويظاهر ذلك في شكل الأسلوب المتبع في معاملة هذا الابن (فؤاد البهي السيد، 1997).

وما يمكن استخلاصه أنّه رغم التباينات في سلوكات الوالدين وانعكاساتها على الأبناء، سواء الأساليب الحسية أو النفسية، إلّا أنّ هذا التأثير لا يمكن تعميمه على كافة الأبناء لتدخل عوامل أخرى البيئة، العامل الثقافي، الخبرة المكتسبة من الحياة....

في حين إذا كان أحد الصغار معاقا فإنّه سيلقى عادة انتباها وعطفا أكبر من جانب الوالدين غير أنّ الإخوة يسلمون ذلك للتدليل والتفصيل" (كمال الدسوقي، 1979: ص249).

وما ينتج عن هذا الأسلوب ظهور بعض السلوكات السلبية من طرف باقي الإخوة على الابن المميز لأنّهم يجرعون هذا الاهتمام إلى التفضيل من جهة، في حين هناك الابن الّذي شعر بالدونية وعدم الثقة بالنفس لما يلقاه من حرمان عاطفي من طرف أفراد الأسرة وهذا ما

سيعرضه إلى ما يسمى النكوص أو التراجع إلى السلوك الطفولي حتّى يشد انتباههم ويسعى لأن يحظى بعطفهم اتجاهه (عبد المجيد سيد منصور وآخرون، 1998).

حتّى أنّه في ديننا الحنيف هناك باب كراهة تفضيل الوالد بعض أولاده على بعض، فعن النعمان بن بشير– رضي الله عنه– أنّ أباه أتى به رسول الله– صلى الله عليه وسلم فقال: إني نخلة ابني هذا غلاما كان لي، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم– "اكل أولئك نخلة مثل هذا؟" فقال: لا، فقال رسول الله– صلى الله عليه وسلم–: "أفعلت هذا بولدك كلهم؟" فقال: لا، قال: "اتقوا الله واعدلوا في أولادكم" فرجع أبي، فرد ذلك الصدقة (الإمام أبي زكريا بن شرف النوري الدمشقي (1997)، عن النعمان بن بشير رضي الله عنه: ص490).

9-الطفل والعلاقة بين الوالدين:

وممّا لا شك فيه أنّ علاقة كلّ من الأب والأم بالطفل ليست علاقات خطية منفصلة مجردة ولكنها علاقات متأثرة بالعلاقات الأسرية وطبيعة المناخ الأسري.

وفي مقدمة هذه العلاقات علاقة الأب والأم معا أي العلاقات الزوجية، وفي دراسته أثر علاقة الوالدين معا على الطفل وجد "بلسكس" أنّ العلاقة بين الزوجين عندما تكون إيجابية يكون الوالدان ؟؟؟؟ وبدرجة عالية مع أطفالهم وتكون الأمهات الإيجابيات نحو الأطفال وأكثر كفاءة في الأعمال الخاصّة برعاية الطفل، ومن الناحية الأخرى فإنّ الزواج الّذي يتسم بالتوتر والصراع من شأنه أن يزيد درجة اندماج الوالدان مع الأطفال (كتعويض) أو قد ينقص درجة اندماجهما مع الأطفال (بفعل الإحباط) والتغيرات التّي تحدث في بناء الأسرة تؤثر على أطفالنا وتطلب منهم أن يعملوا على اصطناع أساليب سلوكية توافقية جديدة (علاء الدين كناني، 1997: ص86).

6-1- علاقة طفل أم:

خلال سنوات ما قبل المدرسة تتغير طبيعة علاقة الطفل بالأم حيث ينهي كلّ من الأم والابن العلاقة المعتمدة على الاقتراب الجسدي التّي كانت سائدة في مرحلة المهد، وبالنسبة

للأطفال ابتداء من سن الثالثة فإنّهم قادرون على الاتصال من خلال الكلمات والإشارات والإيماءات وليس بالصراخ، الّذي يحسب كعمل جسدي ووسيلة بدائية للاتصال.

وبينما يزيد الأطفال على نحو تدريجي المسافة الفيزيقية بينهم وبين أمهاتهم ويظهرون ميلا أكثر إلى الاستقلالية فإنّ الأم من جانبها تستجيب لذلك بتيسير رغبة الطفل في الاستقلال ونتحدث هنا عن الأم السوية بعكس الأم الغير سوية والتّي يكون لديها الدوافع التّي تدفعها إلى عرقلة هذا الاستقلال، وتيسر الأم السوية استقلال طفلها عنها بتحقيق قدر الاتصال الجسدي بينهما وبين الطفل، وتقليل الانتباه الّذي كانت توجهه للطفل والحد من حمايتها التّي كانت تناسب المرحلة السابقة، وتتجه إلى علاقة تتسم بدرجة كبيرة من المشاركة والتبادل.

وهذا التخفيض من الاتصال الجسدي والتقليل من الانتباه والحماية لا يعني أنّها أصبحت سلبية، بل العكس فإنّ الأم في هذه المرحلة تقوم بدور هام جدا في مجالات الارتقاء المعرفي والانفعالي والاجتماعي للطفل وذلك عندما تكون دافئة واستجابية وليست محدودة في التفاعل مع أطفالها الصغار (Lautry, 1974 , p102).

6-2- علاقة الطفل وأبيه:

كلّما نما الطفل وتغيرت طبيعة رعاية الأم لطفلها واتجهت من الرعاية الكاملة إلى المشاركة، زاد دور الأب بروزا، ويفضل الأطفال خاصّة الذكور منهم أن يلعبوا مع آبائهم وأن يشاركوا معهم في ممارسة الألعاب وفي أداء الأعمال وإن كان الأب يقضي وقتا كافيا في اللعب مع ابنه كانت العلاقة بينه وبين الطفل إيجابية.

وتميز كذلك الأم في هذه الحال أن تتحدث وتلعب مع الطفل، ومن أهم الأدوار الوالدية في حياة الصغير ذلك الدور الّذي يقوم به الوالد عندما يقضي وقتا يندمج فيه مع طفله في هذه السن ممّا ينعكس على ارتقاءه العقلي والانفعالي والاجتماعي (عكاشة عبد المناف الطيبي، 1999، ص50).

10- أساليب المعاملة الوالدية:

7-1- الإسراف في التدليل:

ويتمثل في إدراك الابن أنّ والده أو والدته يجعلانه مركز عنايتهما الشديدة واعتقادا منهما بأنّه لا يستطيع العناية بنفسه، ويقلقا كلّما خرج من البيت لوحده، ويحاولا القيام بواجباته حتّى المدرسية منها.

إذ يأخذ التدليل صور متباينة يمكن إجمالها في عدم تدريب بالطفل على الالتزام بقواعد وقيم معينة، وعدم تحمل المسؤولية، بل تعود إلى تلبية طلباته بأشكالها أين يقع اللوم ليس على الابن، وإنّما على النموذج السيء والقدوة الفاسدة التّي وجدها أمامه والذي سيؤدي إلى الشعور بالنقص والفشل عند مواجهته للعالم الخارجي لأنّه تشبع بتربية تقوم على الأخذ دون العطاء (محمد مصطفى زيدان، 1985).

وهذا النوع من المعاملة قد يجعل الطفل ينشأ اتكاليا فتطول طفولته، فهو لم يتعرض بعد لمبدأ الخطأ والصواب حتّى يتمكن من التعلم واكتساب الخبرات مستقيلا عن عون الوالدين، وهذا ليصل إلى التعلم وإلى تعديل في أساليب التوافق النفسي والاجتماعي (محمد عماد الدين اسماعيل محمد أحمد غالي، 1981).

7-2- الحرمان - الإهمال:

ويتمثل في إدراك الابن بأن والده أو والدته لا يهتما بمعرفة احواله وأخباره، فلا تلى طلباته ولا يحصل على أبسط الخرجات الترفيهية معهما، فمن خلال قلة الرعاية وعدم تحقيق إشباعه، ومتطلباته وحاجاته النفسية والفيسيولوجية شب عدوانيا في الانتقام خلال تعامله مع الآخرين، فتظهر عليه سلوكات لا اجتماعية، والتّي سيكون لها تأثيرات سلبية واضحة على توافقه النفسي والاجتماعي يصحبه حتّى شعور بعدم الأمن (صالح حسين الداهري، ناظم هاشم العبيدي، 1999)

وبحسب عبد الرحمن محمد النجار (1997) يكون ذلك نتيجة ظروف اجتماعية كالفقر والظروف الأسرية كاضطراب العلاقة بين الوالدين أو انفصالهما، ومعيشة الطفل مع أحدهما أو مع أحد أقاربه (عبد الرحمن محمد النجار، 1997: 08).

وكذا ما أوضحته دراسة مصطفى سوف (1966): "أنّ الأطفال المحرومين من أسرهم الطبيعية أكثر قلقا وتوترا، من نظرائهم الّذين يعيشون في أسر طبيعية" (محمد محمد بيومي خليل، 1999، عن مصطفى سويف (1996)، ص17)

7-3- التفرقة والتمييز في المعاملة – المفاضلة:

وتتجسد في إدراك الابن بأنّ والدته ينبذانه ولا يهتمان بحضوره أو غيابه، فيسعيا لتلبية رغباته وحتّى محاولة تفهمه، أو ترك له فرصة لإثبات وجوده أو إبداء رأيه.

فهنا تنوب إلى نقطة مهمة وهي أنّ التأثير الأسري يتدخل في النمو النفسي للأبناء، وهذا ما يؤدي إلى انحراف المعاملة الوالدية إلى ما سمي بالتفضيل الأبوي بشكل واضح، ويكون هنا التميز والتفرقة بسبب الجنس أو السن أو غير ذلك كما تم الذكر سابقا، وهذا الأسلوب في التفضيل يجعل من الطفل المميز شخصية أنانية عندها الرغبة في التملك، حيث ينظر للآخرين نظرة سلبية على أنّهم أشخاص حقودين لأنّه يتميز عليهم بأحد هذه الصفات (عبد الرحمن محمد النجار، 1997).

إضافة إلى هذا وذاك ير "كمال الدسوقي" (1979) "أنّه من الطبيعي كلّما كان الصغير يمتاز بصفات تشد أنظار الوالدين وكلما كان أكثر نجاحا أصبح الوالد أكثر إرلادة، وتضحية من أجله عكس إخوته.

7-4- التقبل الوالدي:

هو أفضل الأساليب كلها، إذ يتمثل في إدراك الابن بأن والده أو والدته يتفهما المشكلات ويستمعا لحديثه ويحصل على نصيب كبير من الرعاية والاهتمام ويشعر بالراحة بعد التحدث إليهما عن قلقه وهمومه.

إذ يرى كمال الدسوقي (1979): "أنّ التعبير عن التقبل الوالدي يأتي بطرق مختلفة حسب النضج الانفعالي للوالدين، فالوالدين الناضجان انفعاليا يهدفان إلى تنمية الفرد المستقبل بنفسه وعلى العكس الوالدان غير الناضجان انفعاليا فهما يتعلقان عصبيا بطفلهما، ويحاولان صهره ليلائم معاييرهما، وبالتالي فالطفل المتقبل تتحسن عموما تنشئته الاجتماعية ويكون متعاونا وودودا، يتمتع بالثبات الانفعالي" (كمال الدسوقي، 1979: ص347).

وبالتالي فإنّ التقبل الوالدي مرتبط بهذه الجوانب يتمتع بها الوالدان أهمهما: النضج الانفعالي- الانسجام الأسري- الدفء العاطفي- الصّحة النفسية السليمة.

11- غيرة الطفل من أخيه:

إن الطفل حساس لكل ما يصدر عن أبويه إزاء إخوته. والشعور بالغيرة لدى الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين سن الثانية حتى الخامسة شائع بكثرة. فهم غالبا ما يعانون من انفعال الغيرة إذا شعروا بفقدان الأمن والطمأنينة الى كان الواحد منهم يحظى بها عند أبويه. إذ نراه لا يرضى مثلا بأن يشاركه أحد في حب والديه أو اهتمامهما وعطفهما، أو يقاسمه لعبه وأشياءه. كما نلاحظ رفضه مشاركه أحد له مشاركة جزئية بسيطة في حنان أمه، أو يسلب منه جزءا من عطفها واهتمامها.

والشائع في البيئة الأسرية أن الطفل يشعر بالغيرة من الولد الذي يأتي بعده مجرد أن تكون والدته في الشهر الأول من الحمل. ويستمر ذلك إلى ما بعد الوضع، كما تزداد هذه الحساسية وتشتدّ عندما يأتي المولود الجديد. ولهذا يلاحظ أن الأم الحامل تشعر بالقلق خوفا مما قد تُحدثه الغيرة في طفلها الأكبر بعدما يحل طفل جديد في الأسرة. فتراها تتساءل عما يحدث حين يقع اشتراكهما في العناية؟ وتحاول أن تتعرف عن كيفية إعداد الطفل الأول نفسيا؟

والجواب أنه يجب عليها أن تحرص النظر إلى نفسية الطفل الأكبر، بغعداده مسبقا لقبول الفرد الجديد الوافد على الأسرة، فعليها بعد عملية الوضع أن لا تطيل النظر إلى سرير الطفل الجديد، لأن إحساس الكبير بتكرار نظر الأم إليه يخلق الغيرة في نفسه. كما يجب عليها

أن تتحين الفرصة لتقديم الطفل الجديد إلى أخي الكبير، وإلا فإن الشعور بالغيرة سوف يبدأ في الظهور لا محالة.

إن مجيء الطفل الجديد سيتسبب في أن تعيش الأم لحظات حرجة، حيث سيلتصق الطفل الأكبر بسريرها. ولهذا تُنصح بأن تُبدي اهتماما حقيقيا به وتُنصت لحديثه عما جرى نه أثناء غيابها عنه في المستشفى. كما ينبغي أن تستمع إليه بإمعان، وتُشعره بأنها مهتمة بكلامه. وهذه وسيلة تحميه من الغيرة . والملاحظ أن الطفل الكبير بعد أن يُفرغ من سرد حديثه على أمه، فسيشعر انه أكثر اطمئنانا، وساعتها يمكن أن تقوم بتقديم أخته أو أخيه الجديد إليه.

وعلى الرغم من الحفاوة والسعادة التي قد يُبديها الطفل الكبير بأخيه الجديد في بادئ الأمر، فإن هذا لا ينبغي أن يُلغي الاستمرار في تأكيد حب الطفل الكبير. أجل فإن الطفل الكبير قد لا يُظهر غيرته من أخيه الصغير بشكل واضح من خلال سلوكه أو كلامه، لكن أمارات القلق ستبدو عليه نتيجة علاقتها به. وفي هذه الحالة يجب على الأم أن لا تتذمّر أو تتضايق إذا أبدى الطفل بعض مشاعر عدم الرضا، أو أظهر بعض الغيرة.

وقد تلاحظ الأم أن الطفل الكبير قد يجد صعوبة في التصرف بشكل طبيعي في الأسابيع الأولى، وأن يظهر بعض علامات الضيق والتذمر غير الحاد الذي يعبر به عن رفضه للمولود الجديد. وقد يصبح الأمر أكثر صعوبة عندما يكون الولد الأول ما زال لم يكمل عامه الثاني. إذ لا يلبث هذا الشعور أن يتحول إلى غيرة شديدة، بعد مرور سنة على مولد الثاني، عندما يراه يمشي داخل البيت، ويشاركه ألعابه، ويتعلم منه ما تعلمه هو عندما كان في مثل سنه. وهنا يبدأ الولد الأكبر في الشعور بالخطر عندما يرى أن كل حركة يقوم بها شقيقه، وكل بادرة تصدر عنه، تثير اهتمام والديه.

وقد يصل به الأمر إلى درجة الحسد، عندما يرى المولود الجديد يُح بامتيازات كثيرة تُسبغها عليه أمه. بل إنه سيصر على أن يعود إلى الرضا الطبيعية محددا بعد أن تم فطامه. لكن لا بأس من أن تسمح له بذلك لبضع دقائق، فهو لن يستمر في الرضاعة، وسينتهي الأمر

بالروع إلى الفطام، وكل ما على الوالدين القيام به إزاء هذه الحالات هو أن يجعلا الطفل الأكبر بأن حبهما واهتمامهما به لم يَفتُر بعد مجيء شقيقه الأصغر، وأن يعيدا الاطمئنان إلى قلبه، لأنه يمر بفترة قلق ذي فاعلية وتأثير في النفس والسلوك.

وهناك وقائع كثيرة تدل على أن بعض الأسر قد تُسهم في زرع بذور الفت في نفس الطفل، بما تقدمه من عناية وحب وتفضيل للمولود الجديد دون الأول، وللواحد منهم دون الإخوة الآخرين. إنما بذلك الصنيع تخلق في نفسيات الأبناء متاعب نفسية، وتبذر بذور كثير من المشاكل الاجتماعية التي تنتج عنها عواقب وخيمة، في حياة الأبناء، وهي مشاكل يصعب علاجها، ويتعذر تقويمها.

ويحاول بعض الآباء أيضا أن يثيروا الغيرة في نفس الطفل، بالمبالغة في مدح إخوته، ويصوروهم كأنهم نماذج جيدة يُستحسن الاقتداء بهما. وهم بذلك ايغرسون بأيديهم بذور كثير من المتاعب النفسية والاجتماعية. ولهذا يجب على الوالدين أن يزرعا عادات الحب والإيثار والتعاون بين الطفل الكبير وأفراد أسرته، وهذا سيقيه من مرارة الغيرة ونار الحقد.

وستظهر الغيرة ببروز تغير ملحوظ في كثير من عادات الطفل الكبير نتيجة المشاعر الغيرة المكبوتة. ومن ذلك أنه يرفض النوم مبكرا، أو يستيقظ عدة مرات في الليل وهو في حالة من القلق، ولا سيما إذا كان عمره سنتين أو أكثر. ولهذا فمن الأفضل أن تقوم الوالدة بعدم إرضاع الصغير على مرأى من أخيه الكبير، إذا كانا ينامان في غرفة واحدة، وهذا لكي ينام نوما هادئا غير مضطرب.

وقد يبالغ بعض الأطفال في غيرهم، فيزداد إلحاحهم غير المباشر على الوالدين، لزيادة الاهتمام بهم عن طريق اختلاق آلام، وتصنّع أوجاع وهمية، مما قد يضطر الوالدة للبقاء مع الواحد منهم ردحا من الزمن. غير أنه ينبغي أن تدرك الأم أن كل تقلب في نفسية الطفل الكبير، وكل تصرف جديد قد يطرأ على سلوكه، فإنه ليس بالضرورة أن يكون سببه الغيرة.

والغيرة لدى الأطفال الذين سنهم بين الثانية والخامسة انفعال شائع، بيد أنه كثيرا ما يطغى على الشخصية طغيانا يتسبب في عدم توافق الفرد مع مجتمعه. والأمر اللافت أن أنانية الصغير من أهم العوامل التي تؤدي إلى نشوء الغيرة في نفسه. كما أن الطفل أنان بطبعه، إذ تتمركز حياته الجسمية والانفعالية والاجتماعية حول نفسه، وحول إشباع رغبات.

فهو لا يرضى البتة أن يشاركه أحد في حب أمه وأبيه ولعبه. فإذا فقد شيئا من هذا وخاصة حب والديه فإنه يشعر بفقدان الأمن والطمأنينة.

9- انفعال الغيرة:

لقد فطن علماء النفس منذ أمد بعيد إلى أهمية عاطفة (الغيرة) في حياة الطفل، فوجدوا أنما انفعال معقد ومركب من حب التملك والغضب والشعور أحس بالنقص. ومن ملامحها المميزة أنما انفعال مكدّر بغيض، يشعر به الشخص إذا غيره دونه هو.

أن الإنسان الذي يحبه لا يعبأ به، بل يوجه انتباهه واهتمامه أو حبه إلى كما يرى علماء النفس أن مرةً هذه الظاهرة يعود إلى مزيج من الانفعالات المختلفة، والشعور المؤلم، يصيب إنسانا ما، ويرافقه في كل وقت. فيجعله قلقا أنانيا، ميالا إلى الانزواء، وإلى التشاجر، ومحاولة الإيقاع بغيره.

والحقيقة أن هذه الظاهرة غير الطبيعية هي مثل واضح للمظاهر الانفعالية التي تنبع من داخل الفرد، وغالبا ما تكون أكثر فاعلية وتأثيرا من انفعالات أخرى. وهي تتأثر بعامل نفسي ينشأ من تضعضع العلاقات العاطفية بين الولد ووالديه واضطرابها. وهذا عندما يُحس أن هناك من ينافسه على حب أبويه وحناهما، أو يهدد حسن قبولهما له، فيسعى إلى أن يحتل مكانة مرموقة عندهما.

هذا بالإضافة إلى أن انفعال الغيرة يتولد في نفس الطفل بسبب التنافس بينه وبين أخيه الصغير، إذ هو لا يحتمل رؤية منظر والدته وهي تُرضع أخاه، فهو مجرد ما يقع بصره على هذا المنظر، حتى يبدي من أمارات الخنق، وعلامات الغضب ما قد يصل به أحيانا إلى حدّ

التشنج ! وقد يكون التهديد ا التوهم لمكانته عند أبويه هو العدوان على مصدر الغيرة، بالضرب والعض والقرص وغير ذلك.

قد تتخذ (الغيرة) مظهرا آخر، كان يلجأ الطفل إلى مص الأصابع، أو إلى التبول غير الإرادي، أو التهتهة بعد تعلم الكلام، أو الحبو بعد تعلم المش، وطبيعي أن يستنكر الأبوان هذا التصرف الصادر من الصغير. وعندئذ تتحول النية إلى أساليب استعطافية أشد خطورة، كالإعراض (السيكوسوماتي) الصحوب بالقيء والاضطرابات المعوية أو العزوف عن الطعام وفقدان الوزن، وأحيانا الاكتئاب.

وعندما نتساءل عن أهم أسباب وجود الغيرة عند بعض الأولاد، وهم داخل الأسرة، نجدها تنحصر في تفضيل بعض الآباء لأحد أبنائهم على غيره. هذه المعاملة الخاصة لولد دون الآخر، تقضي على العدالة بين الأبناء، وتجعل الطفل الذي لا يحظى بحب والديه، يشعر أنه عدم القيمة وغير مقبول لديهم. ولهذا يلجأ إلى أساليب أخرى يعوض بها عن الحرمان الذي تعرض له.

ومن الطبيعي أن يكون هذا السلوك عدوانا على الغير، أو يكون شغبا أو إحداث فوضى... ولن يماري أحد في أن معاملة الأبناء معاملة غير عادلة سيخلق جوا من القلق والاضطراب، بالإضافة إلى الشعور بالنقص. وهنا تجد العائلة التي يصاب أحد أفرادها بهذه الظاهرة نفسها أمام أخطر الظواهر النفسية التي قد تتسبب في انحراف الطفل وتعقيده وشقائه. لا لشيء إلا لأنه لا يلق الحظوظ الي يلقاها أخوه أو أخته...

وهنا يراقب الباحثون الأبناء وهم يسعون إلى كسب ود آبائهم، فيتجلى له عبارة عن عملية تنافسية تسيطر على أنماط السلوك، وتنشط القوى والإمكانات الإنسانية، وتفجر الطاقات الممكنة. وهنا نجدهم يقولون إنه إذا خرج عن إطار الطبيعي المعقول وحدوده المعتدلة، فإنه يصير صراعا يفل من عزيمة ال الضعيف، ويقضي على روحه المعنوية، ويهدم صحته

النفسية. وينتهي هو العلماء إلى القول بأن ذلك يُفقد الأسرة أمنها، ويزلزل رابطة المحبة بين أفرادها وينتهي في آخر الأمر إلى زرع بذور الكراهية والبغضاء بين الإخوة والأشقاء.

وتكشف البحوث أيضا أن الغيرة قد تتحوّل إلى رد فعل هستيري، وعامان إنسانية قاتلة عندما تتحجب بأقنعة مختلفة، فتطمس معالمها، ويُلبس أمرها عن الناس، ويصبح غالبية المصابين بما يعانون من مشكلات نفسية واجتماعية وحياتهم وعلاقاتهم بغيرهم. وكل ذلك لا يُلغي جوهرها في كونها ما يقتل الحب ويقضي على الثقة، ووسيلة غير محبوبة يلجأ إليها الغيور لمواجهة الواقع وتنتهي في آخر الأمر إلى غرس بذور الكراهية والبغضاء، مما يجعلها تفوق كل ما سواها من أبواب العذاب العاطفي. ومن عجيب أمرها أنها قادرة على تدمير الغيور نفسه بنفسه، وتدمير من يكون موضع غيرته أيضا.

وبعبارة أخرى فإن الحقيقة تؤكد أنه إذا كانت الغيرة في ظاهرها نزعة ترمي إلى الاحتفاظ بحب الآخرين، فإما في جوهرها أداة قادرة على الانحراف بذلك الحب، وتحويله عن مجراه وتخنقه خنقا. وليس من شك في أن مظاهر الغيرة تقل والاهتمام مع إخوته.

والحقيقة الأخرى هي أن اختفاء العدل بين الإخوة، يهزّ أركان الاستقرار النفسي عند الأفراد، ويعقد العلاقة بين الإخوة ويوترها. هذا الوضع يهيئ الفرصة لإيجاد جو مشحون بالت ومن أنواع الغيرة إلى ته مشحون بالقلق والاضطراب، والتوتر والتراع والتنافس اضا. ويمكن أيضا أن ينمي عند الولد المفضل مشاعر الدلال.

ومن أنواع الغيرة التي تنتشر لدى الأطفال، ما يقع بين الإخوة إذا رأى أن أحد أبويه يحب إخوته أكثر منه. وفي بعض الحالات قد يشعر الطفل : عند مولد طفل آخر أو أخت أخرى له، فيجد الطفل الأكبر أن أمه بغلت عنه واهتمت بالمولود الجديد. فيتصور من جانبه أن الطفل الآخر سوف يحل محله، ويستحوذ على اهتمام أبويه أكثر منه.

وتعبر الغيرة عن نفسها عند الأطفال بما يشبه الغضب. وتختلف عنه في أفا اتجه دائما نحو الشخص الذي يظن أنه احتل مكانه في قلب أمه أو أبيه. ويعبر عنها بالعدوان البديني واللفظي والانطواء والامتناع عن اللعب والأكل والشرب.

وأقسى أنواع الغيرة هو ما ينشأ عن الشعور بالنقص، المصحوب بالشعور بعدم إمكانية التغلب عليه. وقد لوحظ أن (الغيرة) تشتد عند الإناث أكثر من الذكور. وهذا نتيجة لِمَا يُحظى به الذكر من تقبّل وامتيازات مادية ومعنوية. وهذا يقتضي العمل على التخفيف أو القضاء على حدّة الغيرة، ومنع الإصابة بها، بإزالة سبب ظهورها في المحيط العائلي، وإلا كانت وبالا عليها إذا سيطرت على أحد الأولاد.

وأما في المراحل المتأخرة من الطفولة، فإن الاهتمام الذي قد يبديه الوالدان بأحد الأبناء دون سواهم، ولا سيما إذا اقترن بالتفصيل والمديح والملاطفة المستمرة، قد يولد في نفوس باقي الإخوة (عقدة الغيرة). وقد يلجأ الآباء والأمهات إلى (طريقة التنافس)، بدعوى تشجيع أبنائهم على التفوق في الدراسة أو الامتياز في السلوك. لكن التجربة أثبتت أن هذه الطريقة كثيرا ما تؤدي إلى بث روح البغضاء بين الإخوة والأخوات، ولاس إذا اقترنت بتفضيل ابن واحد بعينه على غيره من الابناء. إن تفضيل طفل واح دون سواه من الأولاد هو بمثابة ضرر ماحق، وعلة مباشرة لنمو روح الغد والحسد في نفوس باقي الإخوة.

إن دور الوالدين في هذه المسألة مؤثر. ولهذا يجب إن يساعدا أبناءه عدم الإحساس بالغيرة، فيُظهرا لهم أن الواحد منهم لا يقل حظوة عن الام عندهما، أي هم سواسية في الحب والمعاملة. ومن هنا تكون المعاملة العادلة ب الأبناء هي ما يمنع الغيرة الشديدة. وقد تأكد أن عدم المساواة بينهم يثير عبر ومتاعبهم، وبالتالي يخلق نتائج وتصرفات متهورة تخلو من الحب الأخوي.

وقد وصف القرآن الكريم الغيرة بين الإخوة، فيما رواه عن غيرة إخوة يوسف منه بسبب حب أبيهم يعقوب له ولأخيه الأصغر، وتفضيله لهما عليهم فشعروا بالغيرة والحسد. قال تعالى

بشأنهم: {لقد كان في يوسف وإخوته آيات للسائلين. إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلى أبينّا منّا ونحن عُصبة إن أبانا لفي اضلال مبين، اقتُلوا يوسف أو إطرحوه أرضا يُخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوماً صالحين}. وقد روى المفسرون أن يوسف عليه السلام كان أحب إلى أبيه، وكان إخوته يغارون منه ويحسدونه. فقالوا لبعضهم البعض: إن أبانا لفي خطا بيّن في إيثاره وتفضيله يوسف علينا، وصرف محبته إليه في صغره دون سائرنا. وقالوا هذا يوم كانوا غير بالغين، لا يدرون أن محبة القلب ليس بإمكان البشر دفعها". ورأى علماء التفسير أنه يُحتمل أن يعقرب إنما خص يوسف بمزيد من المحبة والشفقة لأن أمه ماتت وهو صغير.

ومن فوائد القصة وجوب المحبة والعدل بين الأبناء، اتقاء الغيرة والحسد والتباغض بينهم، واجتناب تفضيل بعضهم على بعض. وقد جاء في صحيح البخاري أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: {اعدلوا بين أولادكم...}'، لأن تفضيل أحد الأبناء وإيثاره على غيره، ومعاملته معاملة خاصة يقضي على العدالة بين الأبناء، ويجعل الذي لا يحظى بما يشعر أنه عديم القيمة والقبول. ومن ثم فإنه سيلجأ إلى أساليب أخرى يعوض بها عن الحرمان الذي لحق به.

ومن الطبيعي أن يكون رد الفعل سلوكا عدوانيا، أو عبارة عن شغب أو إحداث فوضى ومعارك، أو غير ذلك من التصرفات التي يحدثها الفلفل، وسيتأثر نموه ويتضرر ضررا شديد، ولن ينمو نموا نفسيا طبيعيا، إذا لم يقم الوالدان بعمل برون يمنع الإصابة بمرض الغيرة. كما يذكر الأطباء النفسانيون أنه يصبح من الصعب معالجة تلك النتائج من الناحية النفسية. ويعود ذلك إلى أن الغيرة تتفوق اعلى كل ما عداها من أبواب العذاب العاطفي. فهي تتميز على سواها من حيث تواريها وتغلغلها في طيات اللاوعي الخفية، بالقدرة على تدمير الغيور نفسه بنفسه، وتدمير من يكون موضع غيرته أيضا.

وقد اكتشف الباحثون أن الأطفال الذين لم يعاملوا معاملة متكافئة مع غيرهم، ونشؤوا على الشعور بعدم الاستقرار والحرمان من العطف والحنان أكثر عرضة للغيرة في رجولتهم من أولئك الذين أحبطوا بالمحبة من كل جانب.

وهذا الشعور الطبيعي بالغيرة قد يتحوّل إلى (عقدة)، حينما يعمد الوالدان إلى معاقبة طفلهما على غيرته، أو حينما يقفان موقفا متحيّزا، كأن يعمدا مثلا إلى هجره أو إكماله. فتهيئ هذه المعاملة غير العادلة حدوث جو من القلق والاضطراب، والشعور بالنقص. وهي كلها من أخطر الظواهر النفسية التي قد تتسبب في جنوح الطفل وتعقيده وشقائه، لا لشيء إلا لأنه لم يلق نفس المعاملة التي يلقاها أخوه أو أشقاؤه. وقد يهدم تصرف الآباء الخاطئ هذا صحة الصغير، وبذلك تفقد الأسرة راحتها وأمنها، وتزول علاقة المحبة بين أفرادها وينتهي الأمر يغرس بذور الكراهية والبغضاء في نفوس أفراد العائلة.

نعم، إن انفعال الغيرة من أهم الانفعالات السائدة لدى الأطفال في هذه حالات كثيرة، منها مثلا: حينما يُظهر الآبا المرحلة من العمر، وتتجلى في عطفهم على أحد أطفالهم دون الآخرين، ولا يوزعون حبهم على أبنائهم ابالتساوي، فيشعر الطفل أن هناك تحيّزاً أو تفضيلا لأحد من إخوته. ويحدث هذا عندما يجد الوالد أو الوالدة أن أحد أبنائهما في حاجة إلى المزيد من الاهتمام والرعاية، كأن يكون أحدهم ضعيف البنية أو عليلا، أو أنه أصغر إخوته سنا. والواقع أن ذلك يعد تصرفا طبيعيا، بشرط ألا يجعلوا بقية أشقائه يشعرون بهذا الاهتمام الزائد الذي يلقاه شقيقهم.

الفصل الثاني

التقمصات

تمهيد

1- مفهوم السياق التقمصي

2- تعريف التقمص

3- أنواع التقمص

4- التقمص وعوامل التطور النفسي- الجنس لدى الفرد

5- التمايز التقمصي لدى الجنسين

6- التمايز التقمصي عند الجنسين :

خلاصة

تمهيد:

تلعب التقمصات دورا هاما في النمو النفسي الجنسي للفرد، فمنذ الميلاد يبحث الطفل عن مواضيع الحب والإشباع، رغبته الليبيدية حيث يبدأ بالتركيز حول ذاته، ويتقمص أحد الصور الوالدية وذلك لتجاوز الصراعات الليبيدية، أمّا بالنسبة للفتاة في مرحلة أوديب تحس بالنص والدونية وتقوم بتجاوز هذا النقص على شكل امتلاك القضيب الأبوي، ويبقى هذا الأمر في الحصول على العضو الذكري حتّى الكبر، والذي يكون في صورة رغبة إنجاب طفل حيث يعوض ذلك النقص، عليه تعتبر التقمصات عمل نفسي مستمر من الطفولة حتّى المراهقة، لذلك حاولنا في هذا الفصل دراسة سيرورة التقمصات في إطار النمو النفسي– جنسي كما حدده فرويد وأهمية هذه العملية في كلّ مرحلة، كما حددنا أصل التمايز التقمصي عند كلا الجنسين.

تطور السياق التقمصي La qualité d'identification:

تتشكل الشخصية اعتمادا على ميكانيزم أساسي وهو التماهي أو التقمص، يتم عن طريق استدخال الفرد للمواضيع الأولية واتخاذها كنماذج في اختياره لموضوع الرغبة) والتقمص حسب لابلانش (ج)، وبونتاليس (ج.ب) عبارة عن: "عملية نفسية، يتمثل الشخص بواسطتها أحد مظاهر أو خصائص أو صفات شخص آخر، ويتحول كليا او جزئيا تبعا لنموذجه، تتكون الشخصية وتتمايز من خلال سلسلة من التماهيات". (ج.لابلاش وجب بونتاليس، 1967، ص198).

تفترض آلية التقمص "التخلي عن المواضيع البدائية أي المحارم، باستبدالها بمواضيع خارجية". (س فرويد، 1981، ص179).

فهذه الآلية تتميز بخاصية التجاذب والتناقض منذ بداية تكوينها، حيث اتخذ مفهوم التماهي تدريجيا قيمة مركزية في أعمال فرويد جعلت منه، أكثر من مجرد أو آلية نفسية من ضمن غيرها من الآليات وصولا إلى اعتباره العملية التي يتكون الكائن الإنساني من خلالها، ولقد تلازم هذا التطور أساسا مع إحلال عقدة أوديب بأثارها الإنسانية في مكان الصدارة، ثم من خلال التعديل الّذي طرأ على النظرية الثانية للجهاز النفسي حيث حددت الأركن التي تمايزت انطلاقا من الهو بواسطة "التماهي" أو "التقمص" قد طرح منذ مرحلة مبكرة من قبل فرويد بصدد الأعراض الهستيرية أساسا. (ج لابلانش، وج ب بونتاليس، 1967، ص198- 199).

إن مفهوم التماهي بالنسبة للتحليل النفسي اغتنى فيما بعد إسهامات متنوعة كانت كالتالي:

1- استخلص فكرة الإدماج الفمي في الأعوام (1912-1915) في كل من (الطوطم والمحرم والحداد والسوداوية) حيث أظهر فرويد دورها خصوصا في السوداوية، إذ يتماهي الشخص

بالموضوع المفقود تبعا للنموذج الفمي، من خلال النكوص إلى علاقة الموضوع المميز للمرحلة الفمية.

2- كما استخلص فكرة النرجسية، في مقالة بعنوان "من أجل تقديم النرجسية عام 1914 يطلق فرويد الجدلية التي تربط ما بين اختيار الموضوع النرجسي (حيث يختار الموضوع على غرار صورة الشخص ذاته) وبين التماهي (حيث يتشكل المرء أو بعض من اركان شخصيته على طراز موضوعاته السابقة: (الأهل، والأشخاص المحيطين).

3- آثار عقدة الأوديب والتي وصفت كانتباه المرء بمصطلحات التماهي حيث تترك التوظيفات على الأهل وتستبدل بالتماهيات، بحيث يبين فرويد أن هذه التماهيات تشكل بنية معقدة بالقدر الّذي يكون فيه كل من الأب والأم موضوع حب وتنافس في آن معا، ومن المحتمل على أي حال أن يكون وجود تجاذب وجداني تجاه الموضوع أساسيا لتكوين أي اتجاه من أي نوع كان.

4- ولقد أكد إرصان النظرية الثانية للجهاز النفسي وإغناء فكرة التمادي وأهميتها المتزايدة، فلم تعد أركان الشخص توصف بتعابير الأنظمة حيث تدون فيها الصور والذكريات والمعنويات النفسية، بل أصبحت تعتبر كبقايا علاقات الموضوع، على مختلف نماز جم! (ج. البارتش، وج.ب بوتناليس، 1967، ص 199).

وبالتالي استقر رأي فرويد إلى التمييز بين ثلاثة نماذج من التماهي:

1- التماهي باعتباره شكلا أصليا للرباط العاطفي بالموضوع: نحن هنا بصدد تماهي ما قبل أوديبي مسبغ بالعلاقة الافتراسية المتجاذبة وجدانيا بطبيعتها.

2- التماهي باعتباره بديلا تكوينيا عن اختيار موضوع مهجور.

3- التماهي في غياب أي توظيف جنسي في الآخر: فقد يتماهى المرء رغم هذا بذلك الآخر بالقدر الّذي يشتركان فيه بعنصر مشترك كالرغبة في أن يكون محبوبا مثلا، وقد يحدث التماهي في هذه الحالة في نقطة أخرى بواسطة الإزاحة (وهو التماهي الهستيري).

ويشير فرويد أيضا إلى أن التماهي قد لا ينصب في بعض الحالات على مجمل الموضوع، بل تقتصر على اسمة فريدة من سماته. (ج.لابلانش، وجب بوتناليس، 1967، ص 200)

والشيء نفسه بالنسبة للفتاة مع اختلافات طفيفة بينهما وبين الذكر هذه الاختلافات مرتبطة بظاهرة اختيار الموضوع الليبيدي.

فبعد ما كانت الأم موضوع الرغبة في المرحلة قبل الأوديبية بالنسبة لكلا الجنسين، مع بداية الصراع الأوديبي تتخلى الفتاة عن هذا الموضوع وتستبدله بالأدب، ويبقى موضوع الرغبة هو نفسه بالنسبة للذكر. (س. فرويد، 1984، ص159)

وبالتالي في المرحلة الأوديبية إذن توجه الفتاة رغباتها الليبيدية نحو الأب بعد ما تدرك حرمانها من القضيب، إذ ترغب في أن تحل محل أمها والحصول على طفل من الأب وتصبح الأم منافسة للبنت، لكن فيما بعد، تدرك الفتاة استحالة تحقيق رغباتها . الأوديبية فتتجه نحو أصلها وتتخلى عن منافستها لها، إذ تتقمصها وترغب في أن تصبح مثلها، بعد أن كانت ترغب في أن تحل محلها. (ليكوت بارات، 1966، ص08- 11)

2- تعريف التقمص:

يشتمل النمو الطبيعي على تصادم مستمر بين الرغبات الغرائزية التي تبحث عن الإشباع الفوري، والقوى المقيدة للمجتمع الأخلاقي وواقع العالم الطبيعي، وهناك أربعة مصادر للتوتر هي: عمليات النمو الفيزيولوجي، والإحباطات، والصراعات والتهديدات، ويكون الفرد مدفوعا إلى تعلم طريقة جديدة لخفض التوتر وأن يستجيب بطرق جديدة بعضها عادي (سوي) والآخر شاذ (غير سوي)، أمّا العمليات التي يتعامل بها الفرد مع التوتر فتشتمل على التقمص كأحد أهم العمليات النفسية المميزة لدينامية الشخصية.

2-1: التقمص أو التماهي:

يشتمل التقمص على تمثيل الشخص لخصائص شخص آخر وجعلها جزء مكونا الشخصيته ذاته بما في ذلك نمذجة السلوك الشخصي اقتداء بذلك الشخص الآخر، ويبدأ الطفل أولا بتقمص شخصية والدية ولكي يتم ذلك فإنه يتشرب مثلهم وأخلاقهم وتصبح المثل الخاصة بوالدية هي المثل الخاصة بالأنا عند الطفل، وهي التي تزود الأنا الأعلى بالطاقة. (محمد محروس الشناوي، 1997 ، ص383- 384)

أنواع التقمص Les quatités d ' identifications

تفترض الية التقمص، التخلي عن المواضيع البدائية لمحارم واستبدالها بمواضيع خارجية" هذه الآلية تتميز بخاصية التجاذب والتناقض منذ بداية تكوينها. (اس فرويد، 1990، ص 187)

وفي هذا السياق يمكن التمييز بين أهم أنواع التقمصات أو التماهيات:

4-1: تماهي أولي Identification primaire:

إنه أسلوب بدائي من تكوين الشخص على غرار شخص آخر، لا تقوم قبله أي علاقة سابقة يطرح فيها الموضوع ككيان مستقل، يتلازم التماهي الأولي تلازما وثيقا مع العلاقة التي يطلق عليها اسم "الإدماج الفمي". (ج.لابلانش، وجب بوتناليس، 1967، ص202)

لا يقتصر تعارض التماهي الأولي مع التماهيات الثانوية التي تضاف إليه، على كونه الأول من حيث التسلسل الزمني فقط، بل أيضا في كونه لا يقوم على علاقة بموضوع فعلي، سابقة عليه، مما يجعله "الشكل الأكثر قربا من الأصل النشوئي في الصلة العاطفية بالموضوع"، فقد يتوجب عدم التفريق ما بين توظيف الموضوع وبين التماشي عن بعضهما البعض في البدايات الأولى من حياة الفرد، خلال المرحلة الفمية البدائية.

ولقد وصف هذا الأسلوب من صلة الطفل بشخص آخر أساسا على أنه العلاقة الأولى بالأم، وذلك قبل رسوخ التمايز ما بين الأنا وبين الأنا الآخر، ولابد أن تصطبغ هذه العلاقة بالطبع بعملية الإدماج.

إلا أنه تجدر الإشارة إلى صعوبة إلحاق التماهي الأولي بشكل صارم بحالة من اللاتمايز القاطع، أو حالة الموضوع، ومن الطريف على كل حال الإشارة إلى أن فرويد الّذي لا يستخدم تعبير التماهي الأولي إلا فيما ندر، يدل بذلك على نوع من التماهي بأن أمّا قبل التاريخ الشخصي" الّذي يتخذ من الصبي مثلا أعلى أو نموذجا له (Vobild) نحن هنا بصدد "تماهي مباشر وآني يسبق أي توظيف في الموضوع.) (ج.لابلاش، وجب بونتاليس، 1967، ص 203)

4-3: تماهي إسقاطي Identification projective:

قدمت ميلاني كلاين هذا المصطلح للدلالة على أولية تتلخص في هوامات يقوم الشخص فيها بإدخال شخصه الذاتي كليا أو جزئيا داخل الموضوع بغية إلحاق الأذى به وامتلاكه وضبطه.

لقد وصفت ميلاني كلاين في كتابها التحليل الأطفال عام 1932" هوامات هجوم على داخل جسد الأم واختراق سادي له.

ترى كل من "ميلاني كلاين" و"جوان رفيير" هوامات التماهي الإسقاطي نشطة في مختلف الحالات المرضية، من مثل تبدد الشخصية وخواف الأماكن المغلقة، يبدو التماهي الإسقاطي إذا كأسلوب من أساليب الإسقاط، وإذا تكلمت ميلاني كلاين عن التماهي في هذا المقام، فذلك لأن الشخص ذاته هو الّذي يسقط على الموضوع، ويتمشى الاستعمال الكلايني التعبير التماهي الإسقاطي مع المعني الحصري الّذي يميل المحللون لتخصيصه التعبير الإسقاط؛ أي نبذ ما يرفضه الشخص في ذاته إلى الخارج، أي إسقاط ما هو سيء".

إذا يترك هذا الاستخدام مسألة معرفة إمكانية التمييز في عملية التها ما بين بعض الأساليب التي يرد فيها الشخص نفسه إلى الآخر، وتلك الأساليب المعاكسة التي يزد فيها الآخر إلى شخص بدون حل من أي نوع كان، يفترض إدراج هذه الأساليب الأخيرة تحت عنوان التماهي الإسقاطي تحقيقا لمفهوم الإسقاط التحليل النفسي، ولذلك قد يمكننا تفضيل استعمال تعارض من مثل التعارض ما بين التماهي الجانب، والتماهي الطارد . ج. لابلانش، وجب بوتناليس، 1967، ص 201- 202)

4- وتماهي بالمعتدي Identification a l ' agresseur :

هو أوالية دفاعية استخلصتها "أنا فرويد" ووصفتها عام (1936)؛ فحينما يجابه الشخص بخطر خارجي (يتمثل نموذجا بانتقاد صادر عن سلطة ما يتماهي مع المعتدي عليه، أمّا بأن يتبنى لحسابه العدوان بحد ذاته، وإما من خلال المحاكاة الفيزيقية أو المعنوية الشخص المعتدي، أو من خلال تبني بعض رموز القوة التي تدل عليه، تسود هذه الأوالية تبعا "لأنا فرويد" في تكوين المرحلة التمهيدية للأنا الأعلى حيث يظل العدوان عندها موجها نحو الخارج، إذ أنه لم يرتد بعد على الشخص ذاته على شكل نقد ذاتي. (ج. لابلانش، وجب بوتناليس، 1967، ص203)

أما فرنزي (Ferenci) فيلجأ إلى تعبير التماهي بالمعتدي بمعنى خاص جدا؛ فالعدوان موضوع البحث ليس سوى محاولة التقرير المبني بالإثم قد يقدم عليها الراشد، الّذي يعيش في عالم من الوله والناتج عن القوة في رضوخ كلي لإرادة المعتدي، حيث يتخذ التعبير الحاصل في الشخصية الشكل -- اجتياف شعور الراشد بالذنب".

وترى "أنا فرويد" التماهي بالمعتدي نشطا في سياقات متنوعة؛ كالعدوان الفيزيقي، والانتقاد، حيث يمكن أن يتدخل التماهي بعد العدوان المرهوب أو قبله، ويكون السلوك الملاحظ نتيجة قلب في الأدوار؛ فيصلح المُعتدي عليه معتديا.

بحيث يعطي المؤلفون الذين يفردون دورا هاما لأولية كهذه في نمو الشخصية قيمة متفاوتة في مداها، خصوصا تكوين الأنا الأعلى، يمر الشخص تبعا (لأنا فرويد) في مرحلة أولى تغلب فيها مجمل العلاقة العدوانية؛ فيجتاف المعتدي، بينما يسقط الشخص موضه ع الهجوم أو الانتقاد، أو الشعور بالذنب، على الخارج، ولا ترتد العدوانية إلى الداخل إلا في خطوة ثانية، حيث يستدخل مجمل العلاقة.

أما بالنسبة لندانيال لأجاش" فهو أميل إلى وضع التماهي بالمعتدي في أصل تكوين الأنا المثالي، ففي إطار صراع المطالب ما بين الولد والراشد يتماهى الشخص بالراشد الّذي يتمتع بالجبروت مما يتضمن التنكر للآخر، ورضوخه وحتى إلغائه.

بينما يستخدم "رينيه شبيتتر" استخداما كبيرا فكرة التماهي بالمعتدي في مؤلفه "اللا والنعم عام 1957) بدأت بشكل ارتداد العدوان ضد المعتدي بالنسبة إليه، الأولية الأغلب بروزا في اكتساب "اللا" اللفظية والإيمائية "التي يضعها في حدود الشهر الخامس عشر من العمر".(ج.لابلانش، وجب بوتناليس، 1967، ص 203- 204)

يعتبر التقمص إذن أول مظهر للارتباط العاطفي بشخص آخر، والذي يلعب دورا هاما في عقدة أوديب وفي المراحل الأولى من تشكيلها، حيث يبدي الطفل الصغير اهتماما بالغا بأبيه، فيريد أن يصبح مثله. (س فرويد، 1981، ص167) ليصل إلى موضع حبه المتمثل في الأم، هذا ما يسمح له بتوجيه رغباته الليبيدية نحو أمه، ويشكل هذا التوجيه مرحلة هامة من مراحل التطور النفس – جسدي التي يمر بها الطفل، إذ نجد أن الطفل يحاول أن يحل محل أبيه ولكنه يدرك بعد ذلك أن الأب يمثل حاجزا بينه وبين أمه، بمعنى بينه وبين رغباته الأوديبية، وشيئا فشيئا يحل هذا الصراع عبر السياق التقمصي، فبعد أن كان الطفل يرغب في أخذ مكان أبيه، تتحول رغبته إلى مشابهة أبيه، أي يصبح مثله. (س. شيلاند، 1990، ص138 – 140)

من خلال هذا السياق، يري (ر. بيرون) أن: "الطفل ينتقل من الذاتية إلى الموضوعية، إذ أن السياق التقمصي يسمح له بالتفرقة بين الذات والموضوع، أي بين الأنا وغير الأنا". (ر. بيرون، 1997، ص 358 – 365)

وبالتالي فإن ميكانيزم التماثل بالمعتدي بمعية ميكانيزمات أخرى، إحدى وسائل الدفاع الأكثر قوة ضد المواضيع الخارجية المولدة للقلق، بحيث : ط. ميكانيزم التماهي أو الاستدخال بميكانيزم آخر يؤدي دور المعتدي، يسمح للطفل بتقليد الاعتداءات التي تعرض لها، فيتحول من مُهدّد إلى مُهدد.

وبالتالي فإن التماهي بالمعتدي عملية نفسية يحاول الطفل من خلالها التكيف مع وضعية التهديد والعدوان الموجه ضده.(عبد الرحمن سي مرادي، 2015، و32– 33)

2– التقمص ومراحل التطور النفس – الجنسي لدى الفرد:

يرتبط سياق التقمصي وسيرورته بسيرورة وديناميةالحياة الجنسية، وتوجد بذورها منذ الطفولة الصغرى أي حتى الطفل حديث الولادة، وهذا ما يؤكده فرويد (س.) إذ يعرف الجنسية على أنها :« سلسلة من الإثارات والأنشطة الفاعلة منذ الطفولة، والتي تعد الشخص بلذة لا تختزل إلى مجرد إرواء حاجة فيزيولوجية أساسية (كالتنفس، الجوع، وظائف الإخراج ...) كما أنها تتواجد في حد ذاتها على شكل مكونات فيما يطلق عليه اسم الشكل السوي من الحب الجنسي».

أي أن : «الجنسية لا تقتصر على عمل الجهاز التناسلي، فالحديث عن الجنسية الطفلية لا يعني مجرد الاعتراف بوجود إثارات أو حاجات تناسلية مبكرة، بل يقصد بها تلك الأنشطة التي لها صلة بالنشاطات الشاذة عند الراشد، باعتبارها تتمثل في الحصول على اللذة في بعض مناطق الجسد (مناطق مولدة للغلمة)، تتعدى المناطق التناسلية وباعتبارها تستهدف أيضا

الحصول على لذة (من نوع مص الأصابع) مستقلة عن ممارسته وظيفة بيولوجية محددة من مثل التغذية، ولهذا يتحدث المنظور التحليلي بهذا المعنى عن جنسية فمية، شرجية...».

كما أن الجنسية لدى فرويد (س.): «لا تعني الرغبة في اتصال الأعضاء التناسلية للفرد بأعضاء الجنس الآخر، وتظهر فعليا هذه الرغبة عند البلوغ، أي في سن النضج الجنسي، أين تندمج هذه اللذات الجزئية مع الوظيفة التناسلية، بهدف التناسل، وبهدف الإحساس باللذة».

فإن فرويد (س.) يؤكد على أهمية سنوات الطفولة الأولى في تكوين أهم مظاهر الحياة الجنسية للفرد عموما: «فالمظاهر الجنسية تبرز منذ الطفولة المبكرة، باعتبارها جزءا من نموه الجنسي، والتي نجدها عند الراشد».

أي أن : «الحياة الجنسية الطفلية قريبة جدا من الحياة الجنسية لدى الراشد، بحيث نجد اختيار الموضوع قد تم في الطفولة، ثم يسعى الفرد إلى استعادته في مرحلة الرشد.

وفي حوالي نفس الوقت الّذي تبلغ فيه الحياة الجنسية عند الأطفال قمتها الأولى فيما بين سن الثالثة والخامسة، يبدأ الأطفال أيضا في إظهار علامات من النشاط الّذي ينسب إلى نزوة المعرفة أو نزوة الفضول المتعلقة بتساؤلاته حول منشأ الأطفال، وحول التمييز بين الجنسين، وتعد هذه من أول المشاكل الجنسية التي يصادفها الطفل في هذه المرحلة.

ويمثل السؤال: من أين يأتي الأطفال ؟ لغزا ومصدر قلق، تسبق إشكاليته مشكلة التميز بين الجنسين».* ويقول فريد (س.أن : «المعرفة تستيقظ لما ندرك الآخر، هذا الآخر الّذي يمثل الموضوع والذي استمد منه الفرد إشباعاته الأولية».

أي أن: «مرحلة ما قبل التناسلية، موجة أولية لظاهرة اختيار الموضوع، ثم تليها مرحلة الكمون أين يركد فيها هذا الاختيار، لتظهر بعدها الموجة الثانية في مرحلة النضج وهي المحددة للبنية النهائية للحياة الجنسية».

ونستعرض الآن مختلف مراحل النمو النفس – الجنسي للفرد أين تتجلى بوضوح ظاهرة اختيار المواضيع وتقمصها، وهي كالآتي:

2-1: المرحلة الفمية :

وهي التنظيم الفموي التابع للتنظيم الجنسي قبل تناسلي، فالنشاط الجنسي هنا لم يفصل بعد عن تناول الطعام. ويعرف كل من لابلاش (ج.) بونتاليس (ج. – ب .)هذه المرحلة على أنها : « أول مراحل التطور الليبيدي، فيها يسود ارتباط اللذة الجنسية بإثارة الفجوة الغمية والشفتين التي تلازم الغذاء».

إذ يشير فرويد (س.) إلى أن : « الفم هو أول منطقة شبقية تظهر عقب الولادة مباشرة وهو يطالب بالإشباع الليبيدي، فالوظيفة الأولى لهذه المنطقة هي حفظ الذات عن طريق التغذية، وإصرار الطفل على المص بغض النظر عن حاجته إلى الأكل، دليل على وجود لذة في ذلك والتي توصف بالجنسية».

هذه اللذة المتحصل عليها من عملية المص تعتبر : « لذة ذات طابع شبقي ذاتيمستقلة عن الحاجة للتغذية، وتتدرج ضمن النرجسية الأولية. وكل الإثارات الشبقية لدى الطفل، فهي نتاج الرضاعة وثدي الأم، أين تنصهر ذات الطفل مع الموضوع وتجمعه بأمه علاقة تلاحمية، وتبدوا الحدود الموجودة بينه وبين العالم والخارجي مبهمة وغير مدركة، فالطفل والأم يكونان وحدة واحدة. وهذا ما نجده مثلا في التعلق الكبير لدى الأطفال بلعبهم، فالبنت الصغيرة تكون مع لعبتها أو دميتها ذلك الإتحاد النرجسي نفسه الّذي عاشته مع أمها فعندما تأمر لعبتها ما أمرته بها أمها، تكون حينها هي نفسها وأمها».

كما يشير فرويد (س.) : « إلى أهمية الإلهام لدى المبدع».

هذا الإلهام الّذي يربطه دوميجولا ميلور (س.) : « بإلهام الأم اتجاه ابنها وهذا بسبب الهوامات التلاحمية البدائية، المرتبطة بالحياة الرحمية وكذا علاقة أم – رضيع، أين تترجم الأم حاجيات ابنها عبر صراخه، تبعا لهواماتها هي».

أي أن الأم تبتكر معاني تواصلية مع رضيعها تعزز ذلك الاحتكاك العاطفي أم – رضيع وهو نفس النموذج الّذي نجده في النشاط الإلهامي المرتبط بالإبداع .

وهذا ما تعيد صياغته بيون :« فالأم عبر إلهامها تنير ظواهر غير واضحة وتعطيها معنى، وهذا بفضل قدرتها التقمصية بطفلها».

وهذا ما تشير إليه دولتو (ف.) أن: «الطفل يتقمص أنا أمه أو بديلها بالتدريج، فإذا ضحكت يضحك، وإذا ناغت يناغي، وهنا يبدأ في استيعاب الكلمات والأصوات».

ومع ظهور الأسنان، تبدأ الدوافع السادية في الظهور والتكون، فالطفل يعض الثدي، وينزع إلى تحطيم الموضوع المرغوب فيه أي إجتياف الثدي.

وفي هذا الصدد يرى أبراهام (ك) أن : «العض الّذي يتبع المص هو بشير بداية إدراك الطفل للحدود البينة بينه وبين موضوعه، ويقسم هذه المرحلة الفمية إلى: المرحلة النمية المبكرة والتي تتميز بنشاط المص، والمرحلة الفمية السادية التي يمثلها نشاط العض».

وتستمر آثار هذه المرحلة في سلوكات الراشد، فنلاحظ مثلا أفرادا يعبرون عن حبهم للطفل من خلال قبل متتالية تشبه المضغ وتتخللها عضات، ويرى فيها بعض الأفراد أن القبلة التي لا تسودها عضة أو عضات عديدة تفقد نكهتها.

ويرى المحللون النفسانيون أن العمل الفني هو بديل الموضوع الأمومي، فجسد وثدي الأم بالنسبة للطفل هما أول تصوراته عن جمال العالم، وترى كلاين (م.) آن: «العلاقة البدائية مع الأم يعاد إحياؤها وتستيقظ في العمل الفني، وتحيى معها كل الهوامات العدائية المرتبطة بمهاجمة الجسد الأمومي وإجتيان الثدي».

ويتعدى إيريكسون في شرحه لهذه المرحلة الفمية عضو الفم كمنطقة شبقية، } ويوسعها إلى كل الأعضاء الجسدية التي تعمل نفس وظيفة الفم المتمثلة في المص، إذ يرى أن : «الطفل لا يمص الموضوعات التي يحوزها ويبتلعها فقط، ولكنه يمتص بعينيه ما يدخل في حقل رؤيته».

ونجد في هذه الرؤية الإيريكسون ما وصفه شاسغي – سميرجل (ج.) لشخص الفنان الّذي يرسم نماذج إنسانية ويمتصها كما يمتص الطفل أمه ويتغذى منها، إذ أعطي مثالا عن : «ما جاء في رواية EDGAR POE، بطلها فنان كان يرسم بورتريه لامرأة، وبقدر ما كانت تظهر ملامحها على اللوحة وتحمر وجناتها وتبرز شفاهها الوردية، بقدر ما اضمحلت المرأة النموذج وشحب وجهها، وكأن كل الحياة التي كانت عليها امتصتها امرأة اللوحة، وانتهت القصة بوفاة المرأة بعد ما وضع الفنان أخر رتوشاته».

ويفسر لنا أنزيو (د.) المخاوف التي تعتري الفنان أثناء عرضه لمنتوجه الفني وحتى مقاومته الشديدة لعرضها ما يرتبط وبقايا هذه المرحلة الفمية، أين تلعب العين دور المستقبلات الفموية حيث: « يخاف الفنان من عرض منتوجه الفني ويسقط على الجمهور شراهته وهو اماته الإلتهامية، ويتصور أن المشاهدين أو المتفرجين على أعماله سيتلهمونها بأعينهم».

هذا يعني أيضا أن الشراهة ميزة من ميزات المرحلة الفمية، ولهذا فإن مارتي ب.) يناولنا عن المرحلة الغمية التعريف التالي :« المرحلة الفمية هي الشراهة والنهم وفقدان الصبر والغيرة».

ويذكر رزولاتو وودلوكر وهما يلخصان ما جاء عن أبراهام (ك.) أن : «جذور الشراهة تمتد، ونجدها الدافع وراء حب الاستفهام والفضول الفكري».

فالثدي هو سلطان هذه المرحلة وكنز الطفل، يعبر الطفل من خلاله على رغباته الليبيدية والعدوانية في نفس الوقت، وفقدانه يعد جرحا نرجسيا إذ يرى فرويد (س.) أن :« فقدان الثدي

بسبب الفطام يؤدي إلى إحساس الطفل بالخصاء، وأنه كلما تعرض الفرد للانفصال عن موضوع ما أو فقدانه، يحيا من جديد هذا الإحساس بالخصاء، المرتبط والفطام الفموي».

ويناولنا غرنبرغر (ب) ما نجده عند: «بعض الفنانين المثبتين في هذه المرحلة الفموية يكتبون ليضعوا ما كتبوه في درج مكاتبهم، ويرسمون لكن دون أن يبيعوا لوحاتهم».

هذه المرحلة التي تنتمي إلى التنظيم الجنسي قبل . تناسلي، نلاحظ أن: «نشاطها الجنسي لم ينفصل بعد عن نشاط إدخال الغذاء، كما لم تتميز فيه بعد اتجاهات متعارضة، فموضوعها واحد، وهدفها الجنسي هو إدماج الموضوع وهذا هو النموذج الأصلي لعملية ستقوم فيما بعد، كنموذج للسياق التقمصي».

2-2: المرحلة الشرجية:

وهي المرحلة قبل تناسلية الثانية عرفها فرويد (س.) على أنها : «المرحلة الثانية من التطور الليبيدي، تتميز بتنظيم الليبيدو وتحت صدارة المنطقة الشبقية الشرجية، حيث تصطبغ علاقة الموضوع بالدلالات المرتبطة بوظائف الإخراج الطرد، الإمساك) وبالقيمة الرمزية للبراز، ونلاحظ خلالها تدعيم السادو مازشية مع نمو الضبط العضلي».

ويقول فرويد (س.) أن: «الطفل يحتجز برازه ليحوز لذة أكبر عندما يطرده».

ففي هذه المرحلة، يسعى الطفل للحصول على اللذة عن طريق التعارض بين هما العدوانية والتبرز، فبعد أن كان في المرحلة الفمية يلتهم ويحطم كل موضوع مرغوب فيه، فإن في هذه المرحلة يتحول الطفل إلى التحكم فيه وتحطيمه عن طريق ردود أفعال عضلية.

ويقول فرويد أن :« التناقض الجنسي والموضوع الخارجي أمران يمكن ملاحظتهما بالفعل في هذه المرحلة».

وهذا ما يبدو جليا في دراسة الأبراهام، سادجر وآخرون : «إذ يقول الطفل في المرحلة الشرجية «لا» ويتخذ عن طيب خاطر التحدي، معبرا بذلك عن معارضته الكل ما يحيط به، إنه

يغمر العالم بضجيج يحدثه ويقذفه كالبراز، يمزق كل ما يقع تحت يده ويكسره ويتلفه، ويروق له أن يكون جو القذارة والفوضى، وهذا ضروري النمو وتأكيد ذاته بالنسبة للآخرين، خاصة الأم».

وتؤكد دولتو(ف.) أن: « المرونة مع الطفل في إكسابه النظافة والابتهاج غير المغالي فيه أمام تبرز الطفل، يساعده في النمو بشكل متزن».

ويرى غرانبرغر (ب. أن : «الطفل الّذي يتعلق بموضوعه على النمط الشرجي، يستقر في الحياة استقرارا متينا، إذ يكون الطفل في مأمن من النكوص الخطير، وسيتيح له بلوغ الأطوار اللاحقة من النمو دون تعقيد»

كما أشار فرويد (س.) إلى بقايا المرحلة الشرجية والتي نشهدها في ولوع الفرد بنظافته أو التركيز على النظام إلى حد الاستحواذ أو حب التملك والبخل، أو عكس ولك الكرم إلى درجة التبذير، ويكتب في «malaisedanslacivilisation» أن: كل الحضارات الإنسانية يمكن أن تعتبر محاولة إعلاء للرغبات الشرجية».

وهذا ما نشهده لدى الفنان الّذي لا يمكن أن ينام لأن لوحة من لوحاته تنقص مجموعته.

وفي نفس الصدد يكتب أندري (س.) أن : «نشاط الفنان التشكيلي وبالخصوص الرسام الزيتي، هو تحويل للنشاط المثمن لكل الأطفال في المرحلة الشرجية، تلك التي يستمد منها اللذة المرتبطة بتلطيخ أنفسهم وأمكانهم بالبراز ».

وبصفة عامة نجد الطفل في هذه المرحلة حسب بيرون (ر) : «يتعلم كيفية التحكم في وظيفة الإخراج، مما يفتح له أبوابا نحو الاستقلالية، ويكون له الحق في حجز أو التخلي عن الغائط وقت ما أراد ذلك. وقد يعيش الطفل علاقة سيطرة وخضوع في هذه المرحلة إذا ما أظهرت الأم قلقها اتجاه تبرز الطفل، أو ارتياحها وقبولها كما لو كان لك هدية لها».

فالموضوع البرازي على هذا النحو: «هدية وقيمة من جهة وسلاح عدواني من جهة أخرى ويعترف الطفل أن ما هو جيد هو خاص به، وبالعكس ما لا يكون خاصا به أولا يمكنه

توظيفه سيصبح الآخر، والقذر في آن واحد. هذه الإجتيافات والإسقاطات المستقبلية ترتبط وتكون الأنا الأعلى فيما بعد وكذا التناقض الوجداني (حب –كراهية)»

ويذكرنا فرويد (س.) أن: «الحب يتوقف وهذا الثنائي المنجذب (حب – كراهية)، وأما من لم تندمج شرجيته اندماجا كاملا، فستلون علاقاته بالحقد والعدوانية».

كما أشار فرويد (س.) إلى: « أهمية المرحلة الشرجية في النمو النفس الجنسي للطفل أين يتشكل أنا الطفل وحدوده ».

وهذا ما توضحه كورني – جانين (من) أن: «على الأم أن تعلم الطفل معنى الحدود، ما هو مسموح له وما هو محصور عنه، وهذا عبر تربية اكتساب النظافة في المرحلة الشرجية، وبكل ما يميزها من ابتهاج وتنازلات، فالواقع والاختلاف بين أنا ولا أنا يكتسبهما الطفل في علاقة متجاذبة بين الحب والكراهية، وتجاوز الإحباط.

ويؤكد فرويد أن هذه المرحلة الشرجية وسابقتها الفمية، مازال تنظيمهما لا يخضع بعد إلى الوظيفة التناسلية.

2-3: المرحلة القضيبية :

يعرفها كل من لابلانش (ج.) وبونتاليس (ج. –ب.) على أنها : « تلك المرحلة التي تأتي بعد المراحل النمية والشرجية، وتتصف بتوحيد النزوات الجزئية تحت سيادة الأعضاء التناسلية، ولكن خلافا لحالة التنظيم التناسلي عند البلوغ، لا يعرف الطفل في هذه المرحلة صبيا كان أم بنتا، سوى عضو تناسلي واحد، هو العضو الذكري، مما يجعل التعارض بين الجنسين معادلا للتعارض: قضيب– مخصي. تتوافق المرحلة القضيبية مع ذروة عقدة الأوديب وأفولها، حيث تسود عقدة الخصاء».

وتبدأ هذه المرحلة : «في سن الثالثة وتدوم إلى غاية سن الخامسة أو السادسة وتشمل عقدة أوديب وعقدة الخصاء، ويرى فيها فرويد بشير بذلك الشكل النهائي للحياة الجنسية وتشبهها

لحد كبير. وتسمى بالمرحلة القضيبية لأن ما يميزها هو العضو التناسلي للذكر، أي القضيب والذي يمثل منطقة جنسية طاغية، ويوازيه لدى الفتاة البظر.

لقد اكتشف فرويد سنة 1908 ما كتبه في مقاله "النظريات الجنسية الطفولية" ووالتي أعاد صياغتها بأكثر وضوح سنة 1923 في التنظيم التناسلي الطفولي" أنه بالنسبة للاشعور لا يوجد إلا جنس واحد يسمى «القضيب»، أي أن الفتاة والفتى يستعيبون الجنس الأنثوي على أنه جنس معاقب، كقضيب مقطوع، كإصبع قفاز».

ولهذا قال فرويد (س.) أن: « العضو الأنثوي لم يكتشف قط، وهذا لا يعني أن الفتاة تجهل حقيقة فرجها، ولكنها تدركه كنوع من القضيب، أو تابعا له، أي ليست اله هوية جنسية مختلفة».

وأمام هذه الهيمنة لجنس "القضيب" في هذه المرحلة: « تحسد الفتاة عضو الذكر لأنها تود لو أنها ذات تبول بالقذف مثله، وذات عضو جنسي مرئي، كما أنها تغار في الوقت نفسه من عضو الذكر، لأن الصبيان يفعلون ما يشاءون. وبالتالي فإن في هذه المرحلة ملكية القضيب لا تعني أن يكون المرء رجلا أو امرأة ولكنها تعني أن يكون على نحو كامل من وجهة النظر النرجسية المرتبطة وكمال القضيب».

وتحت تأثير هذه المرحلة : «يدخل الذكر في المرحلة الأوديبية، ويبدأ باللعب بقضيبه، ويميل جنسيا نحو أمه، لكنه سرعان ما يتخلى عن ذلك خوفا من أن يبتر قضيبه، فهويته الجنسية في خطر، ويزداد قلق الخصاء لديه عندما يكتشف فقدان القضيب لدى البنت».

ويؤكد غرانبرغر (ب. أن: « اللاشعور يستوعب إمكانيتان خاصتان بالصورة القضيبية، وهما أمّا يوجد قضيب، وإما أن يوجد قضيب. مخصي جزئيا أو كليا، فليس ثمة تقابل بين حضور القضيب وغيابه، بل بين حضورين، حضور قضيب وحضور قضيب مبتور، مشوه، تالف أو مفقود؛ فالصورة الأنثوية في اللاشعور مبنية على المعادلة: امرأة= رجل مخصي».

وفي هذا الصدد يرى لاكان (ج) أن: «تثبيتات هذه المرحلة القضيبية قد يفتح المجال لدى البعض ليكونوا فنانين أين يسمح لهم التسامي بأن يجعلوا من الجمال لباسا وغطاء لفظاعة الفراغ، أو القضيب المفقود أي الاعتراف بحقيقة الفروق الجنسية لدى الرجل والمرأة».

أما الفتاة أمام حقيقة فقدان القضيب : «تشعر بالخصاء، والدونية لأن بضرها صغير وغير مرئي مثل القضيب، وتطمئن نفسها بالحصول على عضو أكبر، مثل الصبي عندما تكبر وهذا ما سماه فرويد بعقدة الذكورة لدى المرأة».

هذا العضو الذكري الّذي تسعى إليه من خلال إنجابها لصبي تهتم به بزيادة، ولهذا نجد بسدين (Besdine) في دراسته: « يهتم بالدينامية النفسية للأمهات كثيرات الإثارة لأولادهم، وبالخصوص الذكور وهذا ما قد يرتبط أيضا بوجود رجال مبدعين أكثر من النساء. فالاستثمار الليبيدي المفرط للذكور من طرف أمهاتهم يرتبط أساسا بعدم إشباعهن العاطفي ونقصهن الجنسي. ويخلص إلى أن الفنانين هم نتاج هذه الرغبة المحرمة مع أمهاتهم. وأن هذه الدينامية العلائقية أم طفل أو بالأحرى أم صبي هي التي يبحث عنها الفنان في علاقته مع منتوجه الفني».

وينقل لنا غرنبرغر(ب.) في كتابه "النرجسية" عن: «عقلنة سمة عضو الذكر الأعضاء الحس مثل الأذن التي تتجاوز حدود محيط الجسم، ووظيفتها تجعل منها عضوا ذكري اذا طاقة، أو ما يمثلها الرسامون التكعيبيون في لوحاتهم مثل بيكاسو وغلير وغورمير أين يمثلون عضو الرؤية "العين" على صورة أسطوانة ضيقة متطاولة».

ويعتبر فرويد (س.) هذه المرحلة القضيبية: « موجة أولية لظاهرة اختيار الموضوع، وفيها يكتشف الطفل هويته الجنسية، إذا كان ذكرا أو أنثى، أي يدرك أن ثمة اختلاف جنسي بينه وبين الفتاة».

و ورغم ما يخلقه هذا الاكتشاف للفروق الجنسية من مشكل لدى الطفل، إلا أن فرويد (س.) يري: «فيه مشكلا ثانويا بمقارنته مع ما سماه الغز أبي الهول" أي تساؤل الطفل حول منشأ الأطفال، وكل ما يتبعه من أسئلة تعكس فضوليته الجنسية والتي تصادف مولد أخ أو أخت يعيشه الطفل كمصدر خطر سيفقده الرعاية والحب اللاتي كانت حكره».

من هذه الغيرة الأخوية التي يرى فيها غرانبرغر (ب. أن: « أصل السؤال: من أين يأتي الأطفال؟، هو رغبته في طرد هذا المولود الجديد من العلاقة الثلاثية، ويتمنى أن يعيده إلى المكان الّذي أتى منه، ومن هنا منشأ حاجة الطفل إلى الوضوح».

وفي هذا السياق يوضح بيرون (ر) أن: «هذه الأسئلة المحرجة تنتظر إجابات، فإذا وجد الطفل إجابات ذكية تشبع حاجاته المعرفية، فإن ذلك سيفتح له مجالا واسعا لا تثقيف، أمّا إذا إمتنع الكبار عن إجابته ووبخوه، فإن ذلك يسبب تدهورا للفهم ويصبح مجال المعرفة والثقافة غريبين عنه».

ويربط فرويد (س.) الإنتاج الفكري والفني بهذه المرحلة، إذ يرى أن: « الإبداع الفكري والفني ما هو إلا تسام للجنسية، والفضول الجنسي الّذي يعرف نوره منذ الطفولة ويعتبره محركا لكل رغبة وتجربة جنسية».

هذا يعني أن المعرفة وتوسم طريق الفن يرتبط بالجنسية.

3- عقدة أوديب وعقدة الإخصاء:

تبلغ الحياة الجنسية في المرحلة القضيبية ذروتها لدى الطفل، وفيها تقع المرحلة الأوديبية التي تشمل عقدة الخصاء، وهنا تتحد التقمصات وظاهرة اختيار الموضوع.

ويقول بيرون (ر) أن: « الطفل ينتقل من الذاتية إلى الموضوعية بفضل السياق التقمصي، الّذي يبني مع الصراعات الأوديبية، والذي هو أول مظهر للارتباط العاطفي

بالشخص الآخر».؟ وسنتناول عقدة أوديب وعقدة الإخصاء، قصد فهم مسار السياق التقمصي عند الفرد:

3-1: عقدة أوديب:

يعرفها لابلانش (ج.) وبونتاليس (ج. ب.) أنها : « الجملة المنظمة من رغبات الحب والعداء التي يشعر بها الطفل تجاه والديه. وهي تبلغ تبعا لفرويد، ذروتها في سن ثلاث وخمس سنوات، خلال المرحلة القضيبية، ويسجل أفولها الدخول في مرحلة الكمون. وتتأجج من جديد أثناء البلوغ حيث يتم تجاوزها بدرجات متفاوتة من النجاح من خلال نمط خاص من اختيار الموضوع».

ويرى فرويد أنه: « تحت تأثير اختيار الموضوع توصف الحياة الجنسية بالتيار الوجداني وذلك بسبب كبت الرغبات الجنسية اتجاه موضوع الحب، وفقط التحليل النفسي هو الّذي يبين وراء هذا الحب والإعجاب والاحترام، تختفي الأشواق الجنسية القديمة الخاصة بالنزوات الجزئية الطفلية التي أصبحت الآن غير مفيدة».

والملاحظ أن العقدة أوديب عدة أشكال منها: «الأوديب الإيجابي، الأوديب المنقلب والأوديب الكامل.

نجد في الأوديب الإيجابي حب الذكر لأمه ومنافسته لأبيه الّذي يوجه نحوه مشاعر العدائية والكراهية، ويود التخلص منه ويأخذ مكانه في هواماته .

أما في حالة الأوديب المنقلب، فنجد الأم منبوذة والأب محبوبا .

كما نجد بعض الحالات المزدوجة تكون فيها عقدة أوديب ذات شكل إيجابي او بسيط في البداية ثم تنحدر إلى اتجاه آخر منقلب، ويتحول حب الأم من طرف والصبي إلى الكراهية لأنها خيبت آماله، مما ينتج عنه أو ديبا منقلبا يمكن أن يؤدي فيما بعد إلى تنظيمات سلبية اتجاه المرأة وإيجابية اتجاه الرجل، أي إلى شكل من أشكال الجنسية المثلية.

في مقابل ذلك غالبا ما نجد الطفل يحب ويكره موضوع رغبته إذ أنه يتصرف كذكر وأنثى في نفس الوقت وهذا راجع لجنسيته الثنائية ».

أرجع فرويد (س.) الجنسية المثلية إلى: « حدوث كف وتثبيط الجنسية في المراحل الأولى من النمو. إذ أن تعرض الفرد ونمو النفس – الجنسي لنكوص إلى المراحل البدائية أي قبل – أو ديبية يؤدي به إلى الجنسية المثلية. كما اعتبر فرويد الجنسية المثالية، نقصا للنضج الجنسي».

أما مثلنة الصور الوالدية معا فهذا: «يضعنا في سجل نرجسي غير علائقي، في العلاقة مع الموضوع، بل يضعنا في سجل نرجسي كالدفاع ضد أوديبي، إذ يبحث الفرد أن يكون محبوبا من الوالدين معا، على نمط نرجسي انصهاري أي غير صراعي».

ويقول فرويد (س.) أن: «التحليل النفسي ينبغي أن يجري تحت مظلة الإحباط».

وفي الحقيقة كل الحياة تجري تحت مظلة الإحباط، أين يثبت الفرد الناضج قدرته على تجاوزها، ولهذا تقول دوبري (ر) أنالحياة عبارة: «عن صراع، على الفرد تحمله وتجاوزه حتى ينمو ، فالنمو يتميز بالصراع لا بالهدوء».

ويذكر كيستنبرغ (أ) أنه: «في الحالة العادية لحل عقدة أوديب، فبإمكان الطفل القمص أمه حتى يصل إلى حب أبيه، ومن العادي أن يتقمص الذكر أباه وتتقمص البنت أمها.

ويتجلى مدى أهمية السياقات التقمصية التي تبني في هذه المرحلة الأوديبية أين يصل الطفل إلى الإحساس بجنسه، وتتحدد بهذه الصفة الهوية الجنسية للطفل أكانت أنثوية أم ذكرية».

كما تعرض فرويد (س.) إلى التنظيمات الأوديبية الثلاث والمتمثلة في: «الإغواء، المشهد البدائي، الخصاء واعتبرها أساس استمرارية التنظيم والنمو النفس – جنسي لدى الفرد».

ففي المشهد البدائي يرغب الطفل : «هواميا في تحطيم الإتحاد الوالدي، وهذا الانفصال يعادل تدمير القضيب أي إخصاء الأب، هذا الخصاء البدائي ينجم عليه خشية رد فعل الأب أي الخوف من الخصاء، وهكذا تتصهر هذه الهوامات الثلاث الجماعية في وحدة أو كلية».

ويكتب أنزيو (د.) أن: «الإبداع يرتبط أساسا بهوام المشهد البدائي وما يخلقه من خوف الخصاء والشعور بالعجز الجنسي، وأمام هذا القلق يبدو الحل الأمثل هو التمثل بالزوج الوالدي والسعي إلى حياة نشطة كإنجاب أطفال، إنجاب أفكار أو إنجاب تحف فنية».

هنا تظهر أهمية عقدة أوديب في النمو النفس–جنسي للفرد، كما أن الصحة النفسية تتوقف على نوعية الصراعات الأوديبية، ونوعية التقمصات الناتجة بعد حل الطفل الصراعاته الأوديبية. ولهذا يرى فرويد (س.): «أن الخلل في العلاقات البدائية للطفل، أي خلال تقمصاته لمواضيعة البدائية، قد يؤدي إلى اضطرابات جنسية وهذا عندما يصبح الطفل راشدا وناضجا».

ومن بين أهم الإسهامات في تكوين شخصية الطفل حب الوالدين لابنهما، فثمة تكافل حقيقي بين الآباء والأطفال، وأي إخفاق على هذا المستوى يجعل من الطفل وغير ناضج.

وهذا ما توصل إليه سي موسى (ع. – ر.) في ممارسته العيادية مع الأطفال والمراهقين، ووجد أن: « التثبيطات والفشل في حياتهم الدراسية وحتى العلائقية مصدرها هشاشة نضج الوالدين و/ أو هشاشة العلاقات الأسرية، فالأولياء لا يعدون مصدر أمن ولا نموذج تقمصي كافي لأبنائهم».

يبقى اختيار الطفل لموضوعه الجنسي يرتبط حتميا بتقمصاته الأوديبية، وسلامتها يتطلب مناخا عائليا سليما، ولقد أشار فرويد (س.) إلى أن: « الخلافات الزوجية تعرقل النمو النفس–جنسي للطفل، فتجعله أكثر عرضة للاضطرابات العصابية».

ويأخذ رايش بتأكيد فرويد على الأسباب الجنسية للعصاب، إذ أن: « الجنسية تمثل جوهر الحياة، ولقد وجد أن العائلة هي المسؤولة على أغلب الاضطرابات العصابية عند المراهقين، فالأهل ينقلون بواسطة التربية القمعية الكبت والكف الأطفالهم».

ويناولنا سي موسى (ع) معطيات هامة حول خصائص العصاب في الجزائر والمستقاة من ممارسته العيادية، إذ يصف الضغوطات النفسية الذاتية والضغوطات الاجتماعية الخارجية التي يتخبط فيها الفرد الجزائري ويقول أن: « الجزائري يخضع في ذات الحين لسيطرة الكبت وكذا القمع، فهو محصور بين صراعات داخلية ساخنة بسبب رغباته الأوديبية الملتهبة، كما أنه يخضع وبقوة لأخلاقيات الواقع الخارجي ومحرماته، والتي تمثلها الطابوهات الاجتماعية، العائلية والدينية، وهي لوحدها كفيلة لإحياء المكبوت وبعث الذعر في نفس الفرد الجزائري وكذا المعاناة، خوفا من الخصاء وخوفا من فقدان موضوع الحب الأول المتمثل خصوصا في الأم، وهذا يرجع إلى هشاشة التقمصات الوالدية والارتباط الدائم بمواضيع الحب الطفولية، هذه التثبيتات الطفولية، وهذه الهشاشة في التقمصات الوالدية تضعف من وضعية الراشد وتقلص من إمكانيته في تحمل مسؤولياته كفرد راشد، ناضج وذو هوية جنسية مستقلة».

مما تقدم تظهر أهمية هذه المرحة والتي تتميز باختيار الموضوع، الّذي يعتبر كسند للموضوع الّذي يختاره الفرد في مرحلة النضج.

كما اعتبر فرويد (س.): «عقدة أوديب أكبر منظم للتوظيف النفسي، وممهدة للتنظيم التناسلي للراشد».

3-2: عقدة الخصاء:

يعرفها لابلانش (ج.) وبونتاليس (ج. – ب.) على أنها : « تلك العقدة التي تحوم حول هوام الخصاء الّذي يحمل الجواب على اللغز الّذي يطرحه الفرق الشراحي بين الجنسين (أي

وجود أو غياب العضو الذكري) على الطفل، حيث يرد هذا الاختلاف في نظر الطفل إلى بتر هذا العضو الذكري عند البنت.

وتختلف بنية وتأثيرات عقدة الخصاء عند كل من الصبي والبنت، إذ يخشى الصبي الخصاء باعتباره تنفيذا لتهديد الأب له على نشاطاته الجنسية، مما يولد لديه قلق خصاء شديد. أمّا غياب العضو الذكري عند البنت فيعاش كحيف وقع عليها، تحاول إنكاره، أو تعويضه، أو إصلاحه. وعقدة الخصاء على علاقة وثيقة مع عقدة الأوديب، وخصوصا على مستوى وظيفتها المانعة والمعيارية».

ويؤكد فرويد (س.) أن: «الأسس التي تقوم عليها أولوية العضو التناسلي كمنطقة شبقية في المستقبل على النشاط الجنسي إنما تتوطد نتيجة للاستمناء الطفلى المبكر الّذي لا يفلت منه فرد واحد».

فالاستمناء الطفولي هو : « تعبير عن الرغبات الأوديبية والتي ينجم عنها خوف من فقدان العضو الذكري، وتبدو هذه العملية الاستمنائية مستنكرة من طرف الكبار الذين يهددون الطفل بقطع عضوه التناسلي إذا لم يكف عنها.

هذه التهديدات التي تصبح لديها معنى خطر حقيقي لما يكتشف الصبي أن الفتاة لا تمتلك قضيبا مثله ويضن أنها أخصيت لما اقترفته من ذنب ما وأن دوره آن لا محالة فيتعزز خوف الخصاء لديه».

كما أن: «الصبي لا يقبل بفكرة عدم امتلاك أمه القضيب، لهذا يتخيل أن النساء تخفين قضيبهن داخل أجسادهن. وإذا بقي على هذا الحال فإنه يرفض المرأة كموضوع جنسي مما يؤدي به إلى كره النساء لسبب واحد أنهن لا يمتلكن القضيب».

عندما يدرك الصبي أن: «مجهوداته باءت بالفشل يتخلى عن الموضوع المحرم ويتقمص شخصية الأب، ويحاول التغلب على مشاعر الخوف والقلق من الخصاء، فيقوم الصبي

باستدخال مواضيعه الأوديبية وهذا بفضل التقمص الّذي يفرض عليه التخلي عن المواضيع البدائية أي المحارم واستبدالها بمواضيع خارجية، وبهذا تحل الصراعات الأوديبية».

يؤكد فرويد (س.) أن: «الوفاء الأكبر للأب هو أن يقتل" ليس لنأخذ مكانه ولكن النبني مفهوما جديدا عن الأبوة، بعيدا عن أي قدسية».

يقصد فرويد هنا أنه فقط استدخال الأب كصورة صافية وليس كصورة ممثلنة هو الّذي يفطم الفرد نفسيا بتخليه عن المواضيع الأولية.

ويعود الفضل لتخلي الطفل عن رغباته المحرمة واستبدالها بغرير المحرمة إلى "الأنا الأعلى" هذه الوظيفة النفسية التي يعتبرها فرويد كوريث لعقدة أوديب ، والتي تشكل من خلال النواهي الوالدية وخوف الطفل من الخصاء. إذ يأخذ "الأنا الأعلى مكان الرغبات الأوديبية. وقد أشار فرويد إلى أن: «الأنا الأعلى يكون قويا عند الهاجسين إضافة إلى خوفهم من الرغبات المحرمة، مما يجعل الخوف من النواهي عندهم، أقوى من الرغبة».

ويمثل الأنا الأعلى: « أحد أركان الشخصية كما وصفها فرويد في إطار نظريته الثانية عن الجهاز النفسي: يتماثل دوره مع دور القاضي أو الرقيب اتجاه الأنا.

إذ يرى فرويد في الضمير الخلقي وملاحظة الذات، وتكوين المثل العليا بعض من وظائف الأنا الأعلى».

أما بالنسبة للفتاة فيعتبر قلق الخصاء: « منبعا لرغباتها الأوديبية، ورغبتها في امتلاك قضيب ملحة، إذ تعيش مشاعر نقص وجرحا نرجسيا بسبب فقدانها للقضيب الّذي تعتقد أنهكان موجودا وبتر، أي أنها أخصيت، وتقنع نفسها بأنه سينمو وتعوضه بقضيب خيالي. والدم المتكرر للعادة الشهرية يحي لديها ألم الخصاء، لأنه دليل دم قطع القضيب. ولهذا نجد بعض النساء تتألمن أثناء عادتهن الشهرية فالعادة الشهرية في تصورات الفتاة معادلة للخصاء، معادلة للقضيب المبتور، لكن يمكن تجاوز هذه الآلام إذا تقمصت الفتاة أمها التي تعتبر منبعا الحياة».

وتتوسع مشاعر النقص لدى الفتاة إلى أن: «تطور عقدة الرجولة، وهذا بسبب تشبثها القوي بفكرة الرغبة في القضيب، غير مستسلمة لآمالها في الحصول عليه حتى تشبه الذكر، هذا الاستنكار للاختلاف الموجود بينهما وبين الذكر يدفعها إلى التصرف كالرجال مستقبلا».

أما إذا تقبلت واستسلمت لفكرة عدم امتلاك القضيب، فإن : « رغبتها في الحصول عليه تعوضها بالرغبة في الحصول على الطفل، ويأخذ هذا الطفل مكان الرغبة في القضيب. وبهذا تدخل الفتاة في الصراع الأوديبي المنبثق من عقدة الخصاء إذ توجه رغباتها الليبيدية نحو الأب، بعدما تدرك حرمانها للقضيب، فترغب في أن تحل محل أمها، وتتحول الرغبة في القضيب إلى الرغبة في الحصول على طفل من أبيها، وتصبح الأم منافسة لها. ونظرا لاستحالة تحقيق هذه " الرغبات بسبب وجود الأم التي تشكل حاجزا منيعا لرغباتها الأوديبية، فإنها تتخلى عن منافستها، وتتقمصاها بعدما كانت ترغب في أن تأخذ مكانها».

يرى فرويد (س.) أن: «التقمصات الأوديبية وما قبل أوديبية يحددان النمو النفس – جنسي للفتاة، وأن الصحة النفسية الأنثوية تتوقف على علاقة البنت بأمها، فتقمصاتها الأولية، قبل أوديبية باعتبار الأم أول موضوع حب لها، وبمدى قدرتها على حل الصراعات الأوديبية بفضل التقمصات الثانوية»

نستخلص مما سبق أن: « موقع عقدة الخصاء يختلف عند كلا الجنسين بالنسبة الذكر، فعقدة الخصاء تساعده في حل عقدة أوديب والتخلي عن رغباته الليبيدية، بينما تمثل عقدة الخصاء عند الفتاة مصدرا لصراعاتها ورغباتها الأوديبية، وهذا بعد أن تكتشف عدم امتلاكها للقضيب».

يرى فرويد (س.) في هذا السياق أن: «المشاعر المتعلقة بالخصاء يعاد إحياؤها كلما تعرض الفرد إلى تجارب جديدة طوال حياته، حيث أن التجارب الخاصة الفراق وفقدان الموضوع تحيي مثل هذه المشاعر».

هنا تتدخل عملية جديدة تتمثل في "الحداد"، قصد تجاوز وتحمل مثل تلك المشاعر. ويعرف الحديد على أنه: «عملية نفسية يلجأ إليها الفرد حتى يتجاوز تجارب الفقدان، ويتقبل الواقع والتغيرات الناتجة عن الفقدان».

ويرى كورني (ج) أنه: « تدريجيا يستدخل الفرد المواضيع المفقودة في إطار زمني ينتمي إلى الماضي، إلى تاريخه الطفولي، ويستثمر مواضيع حبه بطريقة أخرى أي دون رغباته المحرمة، وهذا ما يسمى عمل الحداد ويتسم به الحداد السوي».

فالحداد يلعب دورا هاما في حل عقدة أوديب وتخلي الطفل عن رغباته الأوديبية، لهذا فإن النضج النفسي مرتبط بالحداد الّذي يقوم به الطفل اتجاه فقدانه المواضيعة البدائية أي الأوديبية.

ويعلمنا أنزيو (د.) أن: «الإبداع هو محاولة لتجاوز الفراق وهو حداد على المواضيع الأولية».

والحداد عملية نفسية ليست بالسهلة فهي تجر معها مشاعر ذنب مرتبطة والرغبات الطفولية وهذا ما يشير إليه كورني (ج.) إذ يرى أن: « عمل الحداد يشتمل على مشاعر الذنب المرتبطة بعقدة أوديب والأنا الأعلى الّذي هو وريث هذه العقدة».

وإن خفق هذا العمل فإنه: « يجر معه آلاما طويلة المدى وتنتشر فيها الكآبة والتي قد تصل حتى الإكتآب، ويبدو الفرد الّذي فشل في القيام بالحداد على مواضيع حبة الأولى متشبثا بالماضي، وكأن بوصلة الزمن لم تتحرك بالنسبة إليه».

ويعود الفشل في عملية الحداد حسب فرويد (س.) إلى : «الصراع الحاد الّذي يتعرض له الأفراد، والمتمثل في الرغبة وعدم الرغبة في التخلي عن الرغبات والمواضيع الطفولية. ونجد هؤلاء الأفراد يقاومون أي تغيير وأي تجربة جديدة».

ويؤكد ويدلوكر (د.) أنه: «من أجل حياة نفسية سوية وجب على الصبي التخلي عن موضوع حبه الأول وهو الأم، حتى يصبح رجلا، ووجب على الفتاة التحرر من موضوع حبها الأول الّذي هو الأب حتى تصبح أنثي وأما مستقبلا. هذا يعني أن يستبدل الذكر والأنثى المواضيع الأوديبية بغير الأوديبية».

وهذا ما ذهب إليه كل من بيرون (ر) وبيرون – بوغيلي (م.) أنه: « بفصل السياق التقمصي الّذي يلعب دورا هاما في حل عقدة أوديب، يستدخل الفرد مواضيعه الأوديبية. وهكذا يحدد الفرد في هذه المرحلة هويته الجنسية بصفة نهائية، حيث يتخلى عن مواضيعه البدائية المحرمة ويستبدلها بمواضيع غير محرمة.

هذا ما يجعل الفرد يتكيف مع الواقع بعد تحرره من المواضيع البدائية، إذ أنه يتخلى عن المثالية ويميل إلى التواضع».

4- مرحلة الكمون:

تبدأ عادة حوالي السنة الخامسة أو السادسة، وتستمر حتى البلوغ. هذا ما جاء على لسان فرويد (س.) حيث يعتبرها تلك المرحلة التي: « يهدأ فيها النشاط الجنسي عند الطفل، وتأخذ طاقته الجنسية تنصرف نحو كثير من أنواع النشاط غير الجنسي كالألعاب الرياضية، العلوم، الفنون والآداب».

فهي: « مرحلة راحة تتميز بالدفاع ضد الغرائز الجنسية وعملية الاستمناء، والحل الجزئي لعقدة أوديب يؤدي إلى قيام الوظيفة النفسية للأنا الأعلى».

الأنا الأعلى اعتبره فرويد (س.) أنه: «وريث لعقدة أوديب ينتج من خلال استدخال الطفل للنواهي الوالدية والتخلي عن الرغبات الأوديبية، ويتم هذا بفضل : السياق التقمصي الّذي يلعب دورا هاما في تقوية أنا الطفل».

ويرى فرويد (س.) أن: «أنا الطفل يتقوى بعد كل الاحباطات المتمثلة في التخلي عن المواضيع الأوديبية، ترغم الطفل على الاعتراف بالموضوعات، بصفتها مواضيع محبطة فهي بذلك مواضيع خارج الأنا، لا تنتمي إلى الأنا. وبهذا فإن الطفل بفعل التقمصات تتضح الحدود الفاصلة بين الأنا ولا أنا، بين الذات وغير الذات»

أي أن قوة الأنا وطمأنينتها مرتبطة بصيانة واستدخال الطفل المواضيعه .

فهذه المرحلة تتميز : « ببروز الأنا الأعلى الّذي يعتبر سلطة مراقبة، تبني من خلال استدخال الطفل لعلاقاته الأوديبية وقبل الأوديبية، وكذلك النواهي الوالدية، التي تؤدي إلى ظهور مشاعر الذنب. يمكن أن تكون لا شعورية، مما يجعلها تقيدنا وتمنعنا من معرفة سلوكياتنا وأنفسنا، وتمنعنا أيضا من التعرف على الآخر.

وينتج عن ذلك رفض وإعاقة، أي رغبة في التغيير أو النمو. كما يمكن لهذه المشاعر أن تحررنا وتجعلنا نفرق بين أنفسنا والآخرين، أي المواضيع وتعطينا قابلية النمو والتغير. هذا كله يرتبط بقدرتنا على تحمل وتجاوز هذه المشاعر التي ترتبط بطريقة حلفا لعقدة أوديب».

ويأتي لنا لابلانش (ج.) وبونتاليس (ج. – ب.) بوصف لمرحلة الكمون استسقياها انطلاقا مما جاء على لسان فرويد في "ثلاث مقالات حول النظرية الجنسية" عام 1905 وهي أن: «في مرحلة الكمون يتحتم أن تختفي عقدة الأوديب لأنه حانت لحظة زوالها، تماما كما تتساقط أسنان الحليب حين تنمو الأسنان النهائية.

فالغياب المستمر للإشباع المأمول، والإحباط الدائم الّذي يصيب الطفل الّذي يأمل ذلك الإشباع، يرغمان العاشق الصغير على التخلي عن شعور لا رجاء منه».

ويضيف فرويد (س.أن): « النشاط الجنسي قد لا يتوقف حتى في هذه المرحلة التي تتميز بالراحة والهدوء، غير أن طاقتها تتحول إلى استخدامها الجنسي تحولا كليا أو جزئيا وتتجه نحو أهداف أخرى، وهي عملية تستحق أن يطلق عليها اسم "التسامي".

فإننا نضيف أن العملية ذاتها تقوم بدور في نمو الفرد، وأنها تبتدئ في مرحلة الكمون الجنسي أثناء الطفولة».

و تجاوز عقدة أوديب وحلها بطريقة سليمة تظهر بوادرها في هذه المرحلة، إذ ينمو الطفل ويتكيف مع الواقع، بتخليه عن مواضيعة المحرمة وتوجهه نحو العالم الخارجي مندفعا لبناء صداقات يميزها الحب والوفاء، وفي هذا الصدد يكتب فرويد (س.) أن: «الطفل في مرحلة الكمون يتعلم كيف يشعر بالحب نحو الأشخاص الآخرين، وكيف يساعدهم ويلبي طلباتهم، ويكون هذا الحب على نموذج علاقة الوافل الرضيع بأمه التي ترضعه».

ولهذا تكتب دولتو (ف.م) أن: «الطفل في مرحلة الكمون يكتشف معنى الزمالة والوفاء بين الزملاء».

وتظهر بوادر النشاط الإبداعي في هذه المرحلة إذ يكتب فرويد (س.) في سر في الحضارة"(malaise dans la civilisation) أن: «حب الجمال ينحدر من التثبيطات الجنسية، إذ تتحول الرغبات والنزوات الجنسية إلى إنجازات حضارية»

وتنقل لنا كوفمان (س.) ما كتبه فرويد في كتابه "الهو والأنا" (le ca et le nioi) أن: « النشاط الفني هو بديل رمزي للتخلي عن المواضيع الأولية والماضي الطفولي. فالفن هو ذلك المعوض الإحباطات الواقع المرتبط والابتعاد عن الاستثمار المحرم للوالدين وحتمية الموت».

أهم ما يميز هذه المرحلة هو تخلي الطفل عن استثمار مواضيع حبه الأولى، هذا التحرر يسمح له بالانطلاق نحو العالم الخارجي، أين يستثمر مواضيع جديدة، الأصدقاء الاهتمام بالقواعد الجمالية والأخلاقية، حب المعرفة والاكتشاف.

وتمهد هذه المرحلة الطفل ليدخل في مرحلة جديدة من التطور الجنسي استمثلة في مرحلة البلوغ والمراهقة.

6- التمايز التقمصي عند الجنسين :

حسب فرويد (س.): «لا يتم التمييز الدقيق بين الخصائص الذكرية والخصائص الأنثوية إلا في المرحلة القضيبية، مع اكتشاف الفروق التشريحية بين الأعضاء الجنسية لكل من الصبي والفتاة وطريقة تبول كل منهما، وسيكون لهذا التباين منذ ذلك الوقت تأثيرا حاسما على تشكيل الحياة الجنسية لكل منهما. إذن فالاختلاف التقمصي عند الجنسين يرتبط والاختلاف المتواجد في بنيتهما الأوديبية. إذ أن الاستعدادات الجنسية الذكرية والأنثوية كانت موجودة منذ الطفولة أي بعد الولادة، وتتضمن كل النشاط الشبقي الذاتي للمناطق الشبقية والتي هي واحدة لدى الجنسين (الفم، الشرج)، وبسبب هذا التماثل لا يمكن التمييز بين الجنسين حتى تتوحد هذه النشاطات الجنسية الطفلية تحت نظام وظيفة التناسل».

إذ يمر الطفل في نموه نفس–جنسي بعدة: « مراحل متتالية تمثل أشكالا تنظيمية للعلاقات العاطفية تربطه بمواضيعه البدائية».

وتدفع المرحلة القضيبية: «بما يميزها من عقدة أوديب وعقدة الخصاء، كل من الصبي والأنثى إلى شق طريق مختلف لنفسه حيث ترتسم ملامح الهوية الجنسية».

فالتمايز التقمصي عند الجنسين كما يذكر لوغن (س.) مرتبط بـ: «التمايز الجنسي الّذي يكتشفه الطفل للمرة الأولى خلال المرحلة القضيبية، حيث يختار للمرة الأولى موضوعا جنسيا محددا».

6-1: أصل التمايز التقمصي لدى الذكر:

يرى فرويد (س.) أن: «الذكر مثل الأنثى في المراحل ما قبل تناسلية (الفمية والشرجية) لا تمايز بينهما، فجنسية الطفل خلال هذه المراحل تتميز بالشبقية الذاتية أين يجد الطفل (ذكر أو أنثى) موضوعه الجنسي في جسده الذاتي، وتصل النزوات إلى إشباعات مستقلة عن بعضها البعض».

وحسب (بيرون ر.) فإن : «الطفل في هذه المرحلة لا يفرق بين الأنا وغير الأنا، بين الذاتية والموضوعية. لكن بحلول المرحلة الأوديبية، حيث تتشكل التقمصات الثانوية، يكتشف الطفل لأول مرة هويته الجنسية إن كان ذكرا أو أنثى، حيث يدرك أن ثمة اختلاف بينه وبين الآخر أي بين الذات والموضوع».

ويرى فرويد (س.) أنه: «في المرحلة القضيبية ينصب الذكر في استثمار عضوه الذكري أي القضيب مصدر لذته، وينسبه لجميع الكائنات غير مدرك الاختلاف الجنسي بينه وبين الأنثى. الفضولية الجنسية المرتبطة بفضولية النظر والمقارنة بين

طريقة التبول لديه ولدى الأنثى، يكتشف أثناءها أن الفتاة لا تملك قضيبا ويتصور لها فعلت شيئا ما، أو أساعت فبتر قضيبها، أي أخصي، ويتعرض إلى الخوف من الخصاء».

هذا الخوف من الخصاء لدى الصبي:« مصدره رغباته المحرمة نحو أمه، أي رغباته الأوديبية، وتحت ضغط تهديد الخصاء، يكبت الذكر رغباته المحرمة ويتخلى عن مواضيع حبه الأولى، حيث يحل محل تلك الصراعات الأوديبية السياق والتقمصي، بفضله يستدخل الذكر مواضيعه الأوديبية ويحل بذلك عقدة الأوديب، ينشأ الأنا الأعلى كوريث لهذه العقدة».

فالذكر يتحرر من مواضيعه الأوديبية بفضل السياق التقمصي الّذي يستدعي قبول تضحية كبرى تتمثل في «التخلي وإلى الأبد عن الإشباع المباشر للرغبات الأوديبية».

ففي هذه المرحلة وحسب دوماس (د.): «يعترف الذكر بالزوج الوالدي الّذي مثل سبب وجوده، أو يعتبر الوالد من نفس الجنس مثله الأعلى، يرغب في أن به صبح مثله مستقبلا».

وورم ويرى آندرى (س.) أن: «استدخال الصورة الأبوية كسلطة، يتطلب حصر مرد عظمة الأم، ومنعها من أن تجعل طفلها موضوعا لذتها».

و الشيء نفسه ذهب إليه بادنتر (أ.) حيث يرى أن: «الرجولة تقوم على قدرة الشكر على قتل أمه خياليا، والتي كانت مسيطرة على رغباته، دون أن ينتج عن ذلك مشاعر الذنب».

وفي نفس المنوال يذكر لازاروفيسي (ر.) أنه: « هكذا يتقمص الذكر أباه ويتخلى عن موضوع حبه الأول، ويستبدله بموضوع خارجي يمكنه من تحقيق رغباته الطفلية في أن يصبح أبا مثل والده مع امرأة أخرى غير أمه، وأن يمنح طفلا لتلك المرأة بعد ما كان يرغب في إعطاء طفل لأمه».

كما أشار فرويد (س.) إلى: «وجود هوامات حمل لدى الذكر في المرحلة بما قبل أوديبية مثلما هو الشأن بالنسبة لحالة هانس».

هذا ما يؤكده المحلل النفسي شادويك حسب ما ورد في كتاب (بيكاش س.) أن: «الرغبة في المعرفة عبارة عن سياق نفسي منبثق عن الرغبة في إنجاب طفل » ويقول بوشن حسب دائما بيكاش (س.أن): «كل الذكور منشغلون بعدم قدرتهم على الإنجاب، وأن لديهم صعوبات في تقبل ذلك الوضع، أي لا يقبل خصوصية الإنجاب للنساء فقط».

ويخبرنا جاكوبسون أنه: « كثيرا ما وجد الرجال هوامات الحمل، ويقول أن ظهورها ناجم عن النتائج النفسية لإدراك الفرق التشريحي بين الجنسين، فالذكر يدرك أن الإنجاب خاص بالنساء فقط، فيعمل على كبت وقمع تلك الرغبة، أي كده جزئه الأنثوي وسلبيته ويعوض ذلك بكثرة إنتاجاته في مختلف الميادين».

إذن وجب على الفتي: « القيام بالحداد على رغباته في الولادة، فيستثمر وبتمنيت خاصية عضوه الذكري، كون آماله الأمومية التي تصورها في المراحل ما قبل القضيبية قد خابت، فيعوض ذلك بكثرة إنتاجاته في مختلف الميادين».

ويرى فرويد (س.) أنه: « كي نتخلى على أن نكون امرأة ورجلا في نفس الوقت يتطلب ذلك حدادا يستند فيه الفرد على التسامي».

و أن: «الصحة النفسية الذكرية ترتبط ومدى كبت الرجل لجانبه الأنثوي با ادا، دس أباه وهذا ما يسمح للذكر أن يصبح رجلا مثل أبيه ويعوض جانبه الأنثوي وه . وفي السياق التقمصي ويعوض ذلك بإقامة علاقات مع الجنس الآخر».

6-2: أصل التمايز التقمصي لدى الفتاة :

في إطار نظرية النمو نفس-جنسي فإن: «الأطفال ينمون نون تمايز جنسي على سن ثلاث سنوات، بعدها يدخل الطفل المرحلة القضيبية، وفي بدايتها يبدوا أطفال ذكورا وإناثا كأن كليهما ذكور، تحت سيطرة هوية جنسية موحدة هي القضيب».

وفي هذه المرحلة: « تتخلى الفتاة عن اعتبار أمها موضوع حبها الأول مثلما كانت في المراحل قبل تناسلية (فمية، شرجية)، بسبب اكتشافها أنها لا تمتلك القضيب، وتحت تأثير صدمة الخصاء، تستبدل الفتاة الأم بالأب أملة في الحصول على العضو الذكري».

و تقول غرور (أ) أن: «الفتاة تكتشف أنها لا تمتلك قضيبا بسلاحظة الأطفال الآخرين أثناء عملية التبول، التبرز، أو الاستحمام».

وتكشف رغم أن: «البظر يلعب دور القضيب، إلا أنه صغير الحجم وغير مرئي، هذا ما يخلق لديها مشاعر النقص وصدمة الخصاء، وتطمئن نفسها بآمال مستقبلية بأنها ستحصل على عضو أكبر عندما تكبر ويستطيل بظرها كما عند الذكر، وفيما بعد تدرك أستحالة تحقيق ذلك».

كما أن: «الفتاة تتخلى عن الأم كموضوع حبها الأول، تتخلى أيضا عن نشاطها الاستمنائي لأنه يحي لديها ويذكرها بأنها مخصية».

فتحت الضغط النمائي للمرحلة الأوديبية تكتشف الفتاة هويتها الجنسية الأنوثية وبأنها تختلف جنسيا عن الذكر «فالأنوثة مثل الذكورة عملية نفسية تصل إليها الفتاة من خلال صراعاتها التقمصية».

والخصاء عند الفتاة يمثل منبعا للصراعات الأوديبية إذ أن: « توجه رغباتها الليبيدية نحو الأب بعدما تدرك حرمانها للقضيب، فترغب أن تحل محل أمها اتجاه أبيها، بعدها تتحول الرغبة في القضيب إلى الرغبة في الحصول على طفل من ابيها، وهو الطفل نفسه الّذي تنجبه هواميا من رجل آخر عندما تصبح راشدة وقادرة على الإنجاب من الناحية الفزيولوجية».

يرى فرويد (س.) أن: «الصحة الأنثوية ترتبط ونوعية التقمصات الأوديبية او قبل أوديبية فالصحة الأنثوية للفتاة تتوقف على علاقتها بأمها، أي بتقمصاتها ما قبل أوديبية باعتبار الأم أول موضوع رغبة لديها والذي يظهر من خلال لعب الفتاة بالدمى. وكذا من تقمصاتها الثانوية التي تظهر من خلال رغبة الفتاة في القضيب، التي تتحول بدورها إلى الرغبة في الحصول على طفل من الأب. فمستقبل المرأة الأنثوي يرتبط خصوصا بالتقمصات ما قبل أوديبية».

والملاحظ أن الارتباط قبل الأوديبي هو الذي: «يتحول إلى صراع في المرحلة الأوديبية كما أن المكانة التي يحتلها الأب تجاه الأم لها دور هام في النمو النفس–جنسي عند الفتاة».

فالأنوثة حسب فرويد (س.) مرتبطة:« بمدى نجاح الفتاة ولو جزئيا في إنجاز مهمتها المزدوجة، وهي تغيير المنطقة المولدة للغلمة والموجهة للنشاط الجنسي من البظر إلى المهبل، وتغيير موضوع حبها من الأم إلى الأب».

فالفتاة بالنسبة فرويد (س.): «تستثمر موضوعا خارجيا بغرض الحصول على اديل القضيب والمتمثل في الطفل، فهي تدرك أنه من غير الممكن الحصول على طفل دون وجود وتدخل الرجل».

وتشير دوتش إلى : « وجود هوامات حمل لدى الأطفال ذكورا وإناثا في المرحلة أمّا قبل أوديبية، وبالنسبة للفتاة فإن هو امها في هذه المرحلة منصب حول الحصول على طفل من الأم، والذي يعطي مثالا خالصا عن روح الأمومة.

أما في المرحلة الأوديبية، فإن الفتاة ترغب في الحصول على طفل من الأب يعوضها قضيبها المبتور. وتعتبر دوتش أن هوامات الحمل في المرحلة ما قبل أوديبية والأوديبية يكونان المرحلة الطفلية الأمومة والتي على أساسها تتحدد أمومة المرأة مستقبلا ويتحدد مسار حملها».

ولهذا يقول سيلامي (ن.) أن: « الإبداع الفني يرتبط والتقمصات للدور الأمومي، منتجب مثلها بدل الأطفال تحفة فنية، فالرغبة في أن يكون لنا طفل من الأم، أو أن يكون لنا طفل من الأب، هي التي تغذي الإنجاب الثقافي وتسمح له بالاستمرارية».

كما أوردت بيكاش (س.) عن ستايل أن: « النساء خلقن للإنجاب، واللواتي ليس لهن أطفالا ينجبن كتبا».

و لذا فإن الرغبة في الطفل حسب فرويد تأتي من الخصاء الأنثوي الّذي هو مرتبط بالصراعات الأوديبية وأن الطفل يأتي لإصلاح الجرح النرجسي وللقضاء على النقص الّذي عاشته المرأة بسبب رغبتها في امتلاك القضيب فالأمومة تعبر أيضا عن اكتمال الأنوثة.

وذهبت كلاين (م.) في تفسيراتها مؤكدة ما جاء على لسان فرويد (س.) وكتبت أن: «العمل الفني يسمح بإصلاح الذات وتجاوز الجروح النرجسية المرتبطة بقلق الخصاء لدى المرأة».

كما تتميز الأنوثة حسب فرويد (س.م): «بالسلبية، النرجسية والمازوشية ، وتكون الأنثى فعالة حينما تصبح أما»

ولمدى أهمية السياقات التقمصية في اكتساب هوية جنسية أنثوية واضحة ترى دولتو (ف.م) أن: «كل امرأة تستجيب لحملها ولأمومتها حسب الطريق التي حضنت بها حينما كانت بنتا لأمها».

هكذا فإن الفتاة في نموها النفس–جنسي تمر بعدة مراحل لتصل إلى نضجها النفسي، كما أن تقتصاتها الأوديبية وقبل الأوديبية تلعب دورا هاما في تحديد أنوثتها وصحتها الأنثوية.

خلاصة الفصل:

يعتبر التقمص من الميكانيزمات الأساسية لتشكيل الشّخصية، وقد اهتم التحليل النفسي بدراسة السياق التقمصي عبر مختلف مراحل النمو النفسي- حسي، حيث تعتبر التقمصات عملية نفسية مستمرة تبدأ منذ الطفولة إلى المراهقة، فالطفل خلال تطوره النفس- جنسي يمر بعدة مراحل لتصل جنسية إلى تنظيمها النهائي والى تحديد هويته الجنسية ما إذا كان ذكرا أو انثى، إذ يلعب الوالدين دورا هاما في بناء تقمصات الطفل، وعليه فإنّ أي اضطراب أو انقطاع مغاصي على مستوى علاقة الطفل بوالديه قد يؤثر على بناء تقمصاته في مراحل لاحقة.

الفصل التطبيقي

تمهيد.

1- المنهج.

2- دراسة حالة.

3- مكان الدراسة.

4- مجموعة البحث.

5- أدوات البحث.

6- المقابلة العيادية البحثية النصف موجهة.

7- طريقة تحليل محتوى المقابلة

8- اختبار رسم العائلة

9- دراسة الحالة.

تمهيد:

كلّ باحث مهما كان بحثه، ومجاله وهدفه فإنّه ملزم باتباع منهج معين ينظم معطياته وموارده وأدواته العلمية، فالمنهج مرتبط في درجته الأولى بتحديد موضوع البحث، فهما مرتبطان ارتباطا وثيقا حيث يتم اعتماده في توجه نظري معين، حيث في بحثنا هذا اعتمدنا على دراسة حالة الّذي يتميز به المنهج العيادي على ضوء النظرية التحليلية، باعتماد الخلفية التحليلية النفس–دينامية لاختبار فرضيتنا علينا القيام بدراسة تطبيقية والتّي تتمثل في انتهاجنا طريقة علمية تدعو إلى التماس مجموعة من الأدوات والتقنيات والكيفيات المعروفة افي مجال علم النفس التّي تتماشى مع الجانب النظري، وأيضا لديها القدرة الكافية على اختبار فرضيتنا وبالتالي سوف نبني من خلال الجانب التطبيقي الآتي مجموعة البحث، أدوات جمع المعلومات مع عرض النتائج وتفسيرها بالإضافة إلى تحليلها والنتائج المتوصل إليها.

1- المنهج:

إنّ من أصعب الظواهر التّي يمكن للفرد أن يدرسها، تلك المتعلقة بالظواهر الاجتماعية والانسانية، كونها تتصف بالتغير والحركية والنسبية، لهذا تتعدد وتتنوع مناهج البحث فيها بتنوع مواضيع الدراسة، حيث ينبغي على كلّ باحث يسعى افي صدد إنجاز بحث أن يختار المنهج العلمي الّذي يتلائم وموضع بحثه، وفي دراستنا هذه قمنا باتباع المنهج العيادي لضرورة عملية وعلمية نظرا لطبيعة الموضوع ومجاله من جهة، ومن جهة أخرى حسب سي موسى وبن خليفة (2008): "فإنّ المنهج العيادي يركز على التناول الكيفي ضمن تميز الفرد في توظيفه النفسي وتغيره المستمر في الزّمان والمكان" (ص:145).

وهذا التميز يكون من خلال موقع وخصائص الفرد مقارنة بالأشخاص الآخرين، هذا ما أشار إليه Perronr (1997) في مفهوم "الشّخص" كحالة مميزة تشكل موضوع علم النفس (ص:145) "حيث يرى أنّ الشّخص بشخصيته لا يمثل فقط حالة مستقلة عن الحالات الأخرى، بل يجب مراعاة درجة تشابه الخصائص لديه، واندراجها ضمن سجل عيادي مشترك مع مجموعة من الأشخاص، هذا السجل يضم وضع التنظيم التزامني والتتابعي للعمليات النفسية" (ص:145).

في هذا الإطار يعرف Perronr (1997) المنهج العيادي على أنّه: "المنهج لمعرفة التوظيف النفسي للفرد وبالتالي يهدف إلى بناء بنية واضحة في الحوادث النفسية الصادرة عن الفرد" (ص38).

أمّا Lagached فيعرف المنهج العيادي بأنّه: "تناول للسيرة في منظرها الخاص وكذا التعرف على مواقف وتصرفات الفرد اتجاه وضعيات معينة، محاولة بذلك إعطاء معنى للتعريف على بنيتها، وتكوينها كما تكشف عن الصدمات التّي تحركها" (عن Fornande. L, pidinielli, J-L، 2004، ص: 2002- 2003).

2- دراسة حالة:

لقد علمنا أنّ المنهج العيادي مبني على دراسة حالة، سنتطرق إلى كا جاء به عمار بوحوش (2007): "تعرف دراسة الحالة بأنّها الوسيلة المعتمدة لجمع البيانات المتعلقة بأي وحدة وهي الوعاء الّذي ينظم ويقيم فيه علم النفس كلّ البيانات التّي يحصل عليها عن الفرد، الجماعة، الأسرة، وهو يستعمل الملاحظة، المقابلة، التاريخ الصّحي والاختبارات النفسية" (ص130).

3- مكان الدراسة:

تمت الدراسة في إبتدائية شنيح محمد الواقعة في حي وعواع المدني بولاية المسيلة التي تم إنشائها في أكتوبر 1961 في وسط حضري و التي تحتوي على 24 حجرة و التي تقدر مساحتها الإجمالية بـ 1000.

4- مجموعة البحث:

4-1: شروط انتقاء مجموعة البحث:

كان اختيار أفراد مجموعة البحث والمتكونة من 03 حالات من جنس إناث على مستوى ابتدائية الشهيد شنيح محمد بولاية المسيلة، حيث تقع هذه الأخيرة بالولاية التّي تزاول فيها دراستنا ممّا سهل علينا عملية التواصل معها، وذلك بعد حصص تشاور مع المشرفة على البحث، وذلك للبحث عن الحالات التّي تتلائم مع موضوع بحثنا والتّي تنطبق عليها مجموعة من الشروط ومعايير الإدراج (Les giteres d'inclusion) ولكي ينتمي فرد إلى مجموعة بحثنا عليه أن تتوفر فيه الشروط التالية:

- أن تكون طفلة.
- أن تكون متدربة بشكل مستمر بدون انقطاع.
- أن يتراوح سنها ما بين (07- 09 سنوات) وهذا ما يوافق مرحلة الكمون في النمو النفسي جنسي في النظرية التحليلية.

- ألا تكون يتيمة الأب والأم وهذا تفاديا للتقمصات النفسية المؤثرة على نوعية التقمصات، حيث أنّ الأطفال اليتامى وبفعل خلل الإشباع الوجداني يظهرون خلال في الصور الوالدين المفقودين.

كما لا تفوتنا الإشارة إلى أنّه تم التواصل لمجموعة البحث عن طريق الحضور في حصص التدريس التّي تجري داخل قاعة التدريس لكسب مجموعة البحث وكذا لمعرفة مكانة ومعاملة المعلم من طرف مجموعة البحث وهذا ما سهل لنا عملية البحث.

4-2: خصائص مجموعة البحث:

تتكون مجموعة البحث من 03 حالات، والجدول رقم (01) يوضح لنا خصائصها:

الحالة	سن الحالة	المستوى الدراسي	المستوى الدراسي للوالدين	رتبة الطفل في الأسرة	قدرة الطفل التحصيلية
مريم	08 سنوات مفضلة من قبل الوالدين خاصّة الأم	الثالثة ابتدائي	- الأم عاملة بقطاع الفلاحة - الأب أستاذ فرنسية	الرتبة 02 والأخيرة	ممتازة بناء على تصريح المعلمة ونتائجها التحصيلية
فرح	09 سنوات مفضلة عن قبلها (الأب-الأم) حسب تصريحها	الرابعة ابتدائي	- الأم نهائي وربة بيت - الأب مفتش فرنسية	05 والأخيرة	جيد جدا بناء على تصريح من المعلمة ونتائجها التحصيلية
منال	07 نوات غير مفضلة لا من قبل الأب ولا من قبل الأم	الثالثة ابتدائي	- الأب بناء مستواه الدراسي 04 متوسط - الأم تعمل بفندق لغسل مفارش والأغطية	03 والأخيرة	متوسط وذلك لتحصيلها الدراسي وتصريح من قبل المعلمة

جدول (01): يوضح خصائص أفراد مجموعة البحث

- نشير إلى أنّه تم حذف الألقاب الخاصّة بالحالات الثلاث وذلك بهدف مجهولية المبحوثات.

- **التعليق على الجداول:**

- من خلال معطيات الجدول المذكور أعلاه نلاحظ بأن الحالات الثلاثة أعمارهم تتراوح بين 07-09 سنوات وهي ما توافق مرحلة الكمون في النمو النفس جنسي وهي مرحلة غلبة الاستثمارات الفكرية على حساب البروزات الجنسية، كما نلاحظ بأنّ كلّ المبحوثات يحتلن الرتبة الأخيرة في نسقهن الفرعي الأخوي.
- أمّا فيما يتعلق بالوضع الاقتصادي للمبحوثات فنلاحظ أن الفتاتان "مريم" وفرح لديهن وضع اقتصادي لا بأس به في حين أنّ الفتاة "منال" تعيش وضع اقتصادي متدهور.
- يشير أيضا إلى كون الفتاتان "مريم" وفرح تمتلكان قدرة تحصيلية ممتازة وهو ما يدل على عدم معاناتهما من كف فكري.
- في حين أنّ الفتاة "منال" لديها قدرة تحصيلية ضعيفة وهو ما يدل على معاناتها من الكف الفكري.
- وفيما يتعلق بالتفضيل فإنّ المبحوثة "مريم" مفضلة من قبل الوالدين خاصّة من قبل الأم، أمّا المبحوثة "فرح" فهي مفضلة من قبل الوالدين ولكن حسب تصريحها فقط، في حين أنّ "منال" هي الوحيدة الغير مفضلة من قبل الوالدين (أم، أب).
- أمّا فيما يخص المستوى الدراسي للوالدين فإنّ المبحوثة "مريم" والديها لديهم مستوى دراسي ممتاز حيث نلاحظ أنّ الأم عاملة بقطاع الفلاحة والأب هو أستاذ في اللّغة الفرنسية، أما المبحوثة "فرح" فإنّ الأم مستواها الدراسي لا بأس به (نهائي) أمّا الأب فمستواه الدراسي ممتاز حيث يعمل مفتش فرنسية.
- في حين أنّ "منال" المستوى الدراسي لوالديها ضعيف حيث أنّ الأب يعمل بناء والأم تعمل "تغسل مفارش الفندق" (مستوى 02 ثانوي).

5- أدوات البحث:

حتّى يتمكن الباحث من اختبار خصوصية دراسته عليه أوّلا "بجمع معلومات ومعطيات يخضعها للمعالجة، والتحليل، وهذه المعلومات لن يتحصل عليها إلّا باستعمال وسائل وأدوات وجدت لهذا الغرض، والتّي لا يكون اختيارها عشوائيا بل خاضعا لشروط تتلائم وموضوع الدراسة، أي صالحة لقياس ما يرغب الباحث في قياسه، فعلى هذا الأساس فالأدوات المناسبة لموضوع هذه الدراسة حسب ما تقتضيه صياغة الفرضية هي المقابلة العيادية النصف موجهة، بالإضافة إلى اختبار رسم العائلة.

6- المقابلة العيادية البحثية النصف موجهة:

نشير هنا إلى أنّ الغرض والهدف من المقابلة يتمثل في بناء البحث، حيث نستخدمها للإجابة على صحة أو عدم صحة فرضية بحثنا، وذلك لأنّها وسيلة هامة في جمع المعلومات والبيانات وللقيام بدراسة متكاملة للحالة المطروحة، فهي حسب Doutc (2002): "تظهر المعلومات التّي تهم العيادي فيما يخص دوافع الاستشارة، تاريخ المفحونصن السوابق الشّخصية والعائلية، تاريخ الاضطراب، وقت ظهورها، التعرف على نوع التوظيف النفسي، انطلاقا من تحليل سيكوديناميي الّذي يأخذ بعين الاعتبار الآليات الدفاعية، نوع العلاقات بالموضوع، أنواع الاستثمار الليبيدي، وطبيعة الغلاف النفسي". (ص:76)

أمّا المقابلة العيادية الخاصّة بالبحث فيرى كلّ من ; Benouy H و Chohraouak (2003) أنّها مستعملة عادة لإنتاج المعلومات والمعطيات وهي وسيلة لا يمكن تعويضها إلى المعلومات الذاتية للأفراد، لأنّ الجزء الأكبر من المعلومات يتم الحصول عليها من خطاب المبحوث، لهذا السبب أولى تم الاعتماد في هذه الدراسة على المقابلة كوسيلة أولى لجمع المعلومات نظرا لتعدد أنواع المقابلة واختلاف أهدافها، فاستوجبت الدقة العلمية تحديد النوع الأكثر ملائمة والمتمثل في المقابلة نصف موجهة، حيث تسمح للمفحوص من أن يجيب على أسئلة الفاحص، والتنفيس عن مشاعره بكل حرية، إذ ترى Chelandc (1985): "المقابلة العيادية نصف موجهة ليس مقابلة عيادية حرة، ولا مقيدة، بل تقع بين الاثنين، حيث يكون فيها دور الفاحص هو الاستماع إلى المفحوص، والتدخل لغرض

توجيهه فيما يخدم المقابلة، وهذا النوع من المقابلة يسمح للمفحوص بالتعبير بكل ارتياح وطلاقة وتشجيعه على الكلام". (ص:19)

6-1- محاور المقابلة:

في دراستنا هذه، قمنا بتصميم دليل المقابلة متكون من 04 محاور يحتوي كلّ محور على 03 أسئلة والتّي تساعدنا على التأكد من فرضية بحثنا، حيث ركزنا على طبيعة علاقة المبحوثة بالوالدين كون هذه العلاقة تحدد لنا التفضيل الوالدي وطبيعة التقمصات، وأهم المحاور التّي يتكون منها دليل المقابلة في هذا البحث هي كالآتي:

✓ **المحور الأوّل: علاقة المبحوثة بوالديها:**

يهدف هذا المحور إلى معرفة نوعية العلاقة الموجودة بين المبحوثة والأب والأم والتأثيرات المتبادلة لكونها مفضلة أو غير مفضلة في الأسرة.

✓ **المحور الثاني: علاقة المبحوثة بإخوتها:**

يهدف هذا المحور إلى معرفة نوعية العلاقة الموجودة بين المبحوثة وإخوتها في الأسرة وتحديد النسق الفرعي الأخوي.

✓ **المحور الثالث: علاقة والدي المبحوثة ببعضهم البعض:**

يهدف هذا المحور إلى معرفة العلاقة الموجودة بين الأم وزوجها، أي تحديد النسق الفرعي الزوجي والإدراك الذاتي للثنائي الوالدي ومكانها في المثلث الأوديبي.

✓ **المحور الرابع: الحياة الاجتماعية للمبحوثة:**

يهدف هذا المحور إلى معرفة تأثير نظرة الآخرين على المعاش النفسي للمبحوثة من الأصدقاء.

6-2- كيفية إجراء المقابلة:

لقد أتت كلّ مقابلة على الشكل التالي:

أ/ المقابلة التحضيرية (تمهيدية) Cortratien Peleminarey:

عملنا من خلالها لكسب ثقة المبحوثة وزرع الثقة بيننا وذلك من خلال التحدث عن اللعب بالرسم والتحدث عن المستوى الدراسي، وبعد كلّ هذا يأتي الوصول إلى المعلومات الخاصّة بطبيعة التّي تخدم البحث كوننا بصدد دراسة حالة.

ب/ إجراء المقابلة:

التقدم بطرح الأسئلة تلو الأخرى والخاصة بكل محور، وأثناء سرد الخطاب، نعمل من حين لآخر على التدخل من أجل توجيه المقابلة بأسئلة بحثية، وعندما تبدأ المبحوثة "الطفلة" بذكر أشياء لا تخدم بشكل مباشر الموضوع، أو عندما نجد أنفسنا أمما توضيح أو تفسير أكثر، هذا هو الحال بالنسبة لكل المحاور بحيث نعمل في كلّ مرة على إلقاء التعليمة الخاصّة بكل محور، وكانت التدخلات كذلك في كلّ مرة خدمة وإثراءً وتوجيها للمقابلة بما يساعد اختبار الفرضية.

7- طريقة تحليل محتوى المقابلة:

بعد الانتهاء من إجراء كلّ المقابلات مع مجموعة البحث وتسجيلها بطريقة منظمة حسب السيرورة التّي جاءت بها كلّ مقابلة وبملاحظة كلّ السلوكات والتصرفات التّي أبدتها كلّ مبحوثة "طفلة" على حدى أثناء المقابلة، توصلنا إلى معطيات وإجابات حول موضوع الدراسة، من خلال المحاور المشكلة لمقابلتنا والسبيل إلى اختيار فرضية بحثنا اعتمدنا على تحليل محتوى analyse deconter هذه المقابلات حيث تعرفها Chihand C (1985) بأنّها: "الطريقة التّي تمكننا من الربط بين البيانات الدلالية أو اللّغوية والبيانات النفسية أو الاجتماعية أي سلوك الفرد، أفكاره واتجاهاته". (ص:16)

قمنا بتحليل محتوى الخطاب الكلي للمبحوثة وذلك بالعمل على تحليل مردود كلّ محور على حدى وبعدها القيام بتحليل شامل استنادا للتحليل الخاص بكل محور، حيث يرى Bardin L (1977) أنّنا من خلال تحليل المحتوى نشير إلى التقنيات التّي تهدف إلى تحليل الاتصال اللفظي بواسطة إجراءات منظمة وموضوعية وذلك بوصف محتوى الحديث

أو القصّة للوصول إلى أدلة كمية أو كيفية تسمح باستنتاج أو استخلاص معلومات خاصّة وظروف تكوين القصّة أو الحديث.

8- اختبار رسم العائلة:

استخدمناه كتقنية للكشف عن الجوانب اللاشعورية للحالة حيث كان الهدف منه: إسقاط الحالات لرغباتها وصراعتها ومكبوتاتها.

8-1- تعريف اختبار الرسم العائلة:

اختبار الرسم العائلة هو اختبار إسقاطي يتمتع بقيمة إسقاطية كبيرة باعتباره يكشف عن الحركة الدينامية للشّخصية وعن التفاعل الّذي يتم بين النزوات وبين دفاعات الأنا (فطيمة علاق، 2012: 72).

وتم وصفه من طرف الفرنسي لويس كورمان (Louis corman).

- ماذا يعني اختبار رسم العائلة؟

قبل أن يكون "رسم العائلة" اختبارا في حد ذاته، نقيس من خلاله تصور الطفل، وهواماته وعواطفه وانفعالاته وميوله وصراعاته نحو والديه أو أحدهما أو مع إخوته ونوعية العلاقات التّي يمكن أن تحدث وسط عائلته فإنّه نوع من الرسم، يعبر عن شيء ما لدى الطفل، كما يعتبر تعبيرا عن موضوع ما أيضا واعتبارا من اتوجه كلّ من "فالون"، "كومبيي" و"أنجلهارت" (Wallon : etall :1990 ; 16) فإنّه بالنسبة للمفحوص هو أن يحكي الرسم من أكون لأنّ حركاتي هي ملك لي ولأن الآثار المنتجة هي تعبير وترجمة عن الاتصال الرمزي الّذي يحدث بين المفحوص والفاحص عن طريق الرسم، لأنّه سيتحول إلى أداة يعبر بها عن حالته النفسية عن حالة هي حاضرة الآن والتّي لا تخلو من آثار عن تاريخ الحالة، فهو الأداة التّي تستطيع تمثيل ما يستحضره من مواضيع ماضية الآن، أي أثناء الجلسة ويتعلق الرسم أيضا بالموضوع المرسوم، ذلك أنّه لا يعني توصيل شيء ما للآخر إذا ما اعتبرناه لغة تواصلية بين الطفل والآخر، بل إنّ العوامل المستخدمة في الرسم كالذكريات

لإدراك الصور كلها مقتبسة من الموضوع، فغالبا ما يحاول الرسم إعادة إنتاج الحقائق وذلك بأخذ بعض مظاهر الموضوع المقدم أو أحدهما ليجعلها تطابق الواقع بشكل أو بآخر.

"فهو عبارة عن استحضار للذكريات نعتبرها حقائق عن طريق تمثلها ثمّ تمثيلها ليجعلها تطابق تلك الحقائق في الواقع بشكل أو بآخر". (Wallin ; et all ; 1990 ; 16)

ويعتبر "موريس بورو" (Porot) ، (1965) أنّ "اختبار رسم العائلة" من المواضيع البسيطة والسهلة الاستخدام، لأنّها تسهل الدخول إلى الحقائق، الأحاسيس التّي خبرها المفحوص إزاء عائلته وإلى المكانة التّي يفكر أن يحتلها ضمن هذه الأخيرة. (wallon ; et all ; 1990 ; 16)

ولابد من التذكير بأن (أي اختبار العائلة) يفهم الكيفية التّي يمثل بها الطفل عائلته، بمعنى آخر أن نتمعن في الحقيقة النفسية التّي يحملها عن هذه العائلة، ومن خلاله يتم اكتشاف الحقيقة الذاتية للمفحوص والصور المتكونة لديه عن عائلته، بواسطة الشكل الّذي أعاد تمثيلها لها في هواماته.

يرسم معظم الأطفال عائلاتهم مباشرة عقب استجابتهم للتعليمة بحسب المعطيات الذاتية التّي يملكونها أي عائلة تتطابق ورغبة ما، إذ تصبح لدينا وسيلة للكشف عن الدوافع الداخلية للطفل وعن "ميوله العاطفية" (Corman (L) ; 1970 ; 41) لا تطلب إلّا مقارنة هذه العائلة الذاتية مع العائلة الحقيقية فقط حسب "كورمان" الّذي يميز بين نوعين من الميول العاطفية: الإيجابية والسلبية:

- فالميول الإيجابية تعني توظيف وتقدير الطفل للموضوع المقصود.
- أمّا الميول السلبية فهي تؤدي إلى عدم التوظيف وعدم التقدير للموضوع.

8-2- أدوات اختبار رسم العائلة:

1/ تعطي للمفحوص ورقية قياسية (21×27) بيضاء اللون، وليس بها خطوط، ولابد من تقديمها بشكل أفقي (وإذا حدثت أن قام المفحوص بقلبها على شكل عمودي نسجل الملاحظة ولا يتدخل الفاحص في ذلك)، وقلم رصاص، يحبذ ألا يحتوي ممحاة، يكون مبريا بشكل لا يسمح بالكسر عند قيام الطفل بالرسم، أو إذا حدث وضغط عليه بقوة (واختصارا للوقت يحبذ أن يكون بحوزة الفاحص أقلام رصاص بديلة حتّى لا يضيع الوقت في عملية بري القلم- ملاحظة تتابع الأشكال)، وأقلام تلوين خشبية مبرية أيضا بطريقة تسمح بالتلوين دون معاناة ومن الضروري ألا تعطى له مسطرة ولا ممحاة.

2/ أثناء التطبيق يجب أن نشير إلى التتابع الزمني الّذي تم طبقا له رسم الأشخاص ولابد من التنويه بالدور الّذي يلعبونه داخل العائلة لأنّ ذلك سيساعد في التحليل خصوصا بين المستوى الظاهري والمستوى الكامن.

3/ لابد من ملاحظة ما إذا كان الطفل أشولا (يستخدم اليد اليسرى) أو يستخدم اليد اليمنى كما لابد من تسجيل الحركات الخطية إذا كانت في اتجاه الكتابة أو من الأعلى إلى الأسفل... الخ.

4/ لابد من الفاحص أن يسجل كلّ الملاحظات الشفهية، الحركية، أو تعابير الوجه والتّي تصدر عن الطفل، وما إذا كان لها علاقة ظاهرة بالرسم أم لا.

5/ بعد الانتهاء من الرسم، يتعين على الفاحص أن يطلب من الطفل أن يعطي اسما إلى العائلة التّي قام برسمها.

8-3- اختبار رسم العائلة بطريقة كلّ من "كورمان" و"بورد":

أوّلا: اختبار رسم العائلة بطريقة "كورمان لويس" (Corman louis) (1965-1970):

يعد لويس كورمان من مؤسسي اختبار رسم العائلة بطريقة ممنهجة ومؤسسه جعل منه اختبارا إسقاطيا لدراسة الشّخصية لأنّه يرتكز على الكشف عن علاقات الطفل العاطفية ومشاعره الحقيقية نحو عائلته والطريقة التّي يعيش فيها العلاقات الأسرية الداخلية والأسلوب الّذي يوضع فيه نفسه بالنسبة فخوته ولخواته وخصوصا بالنسبة للوالدين، ويعتمد التقييم بالمنهج التحليلي وتوظيفه في تحليل الأدلة المستنتجة منه، وقد هدف إلى العمل على تحفيز عملية الإسقاط عند الطفل بطريقة بسيطة يتم فيها استخدام تعليمة تخيلية وهي رسم عائلة متخيلة والأداة هي الورقة والقلم ليعكس ما قام به "بورو" قبله بتحفيز الطفل على رسم عائلته هو بواسطة نفس الأداة أي الورقة والقلم.

- **تعليمة الاختبار:**

وتتمثل في: "أرسم عائلة، عائلة تتخيلها؟" أو "تخيل عائلة وارسمها؟" وهي التعليمة الأولى التّي نتعامل معها في بحثنا حيث تسمح بأكبر قدر من الإسقاطات وتداعيات الطفل "وميوله اللاشعورية" حسب كورمان، كما أنّها تعليمة واسعة لا تقيد الطفل بنوع معين من العائلة. (فواطمية محمد وكريمة علاق، 2017، ص: 193)

ثانيا: اختبار رسم العائلة الحقيقية "موريس بورد" 1965:

لابد لنا هنا أن ننوه بما قام به الباحث بإعداد اختبار العائلة متبعا بذلك خطوات كلّ من "مينكو فسكا" (Munkow Ska) 1952 و"مرغنستون" (Morgenstern) 1937، فقد أشار أنّ الفضل يعود إلى هاتين الباحثتين لفكرة استخدام الرسم كتقنية لفهم المشكلات العصابية عند الطفل والتدخل السريع لعلاج هؤلاء الأطفال، ويذكر بأن "مينكو فسكا" كانت تقيم رسوم هؤلاء من خلال رسمهم لذواتهم ورسمهم لبيوتهم وعائلاتهم، حيث يعود لها الفضل في تأسيس اختبار رسم العائلة الحقيقية وهي ما ألهمته لتأسيس اختباره للعائلة الحقيقة.

بالإضافة إلى كون "بورد" فقد صب اهتمامه على القيمة الإسقاطية لرسم العائلة إذ يعتبر بأن هذه المنهجية تؤسس اختبارا إسقاطيا بكل ما يحمله المفهوم من معنى ذلك لأنّه يسهل إسقاط الأجزاء الشعورية واللاشعورية للشّخصية، فهو يعتبره بأنّه اختبار شبه منظم (Semi-Strucluré) يترك مجالا حرا للتعبير مع السماح بالتحليل الإحصائي.

تعليمة الاختبار:

"ارسم عائلتك"، بعد الانتهاء من الرسم نطلب من الطفل أن يحكي لنا رسمه وهنا تبدأ المرحلة الثانية.

المرحلة اللفظية أو التفضيلات- التماهيات:

تبدأها بشكر الطفل على إنجازه الّذي لابد من تقديره مهما كان نوعه ثمّ نقول له: "الآن سنحاول أن تحكي لي عن هذه العائلة التّي نتخيلها، أين هم؟ عين لي كلّ شخص من هؤلاء الّذين رسمتهم... ولتبدأ بالأول الّذي قمت برسمه، ثمّ الثاني..." وهكذا إلى أن ينتهي الطفل من تعيين شخصياته. (فواطمية محمد وكريمة علاق، ص:139)

دراسة الحالات:

1/ دراسة الحالة الأولى (منال):

- **المعلومات الأولية:**

- الاسم: منال
- الجنس: أنثى
- السن: 07 سنوات
- المستوى المعيشي: متدهور
- المستوى الدراسي: الثانية ابتدائي
- مكان الدراسة: مؤسسة ابتدائية
- مكان السكن: سكن عمراني
- عدد الإخوة: 02 ذكور
- مهنة الأب: بناء
- مهنة الأم: تعمل في فندق لغسل المفارش والأغطية الخاصّة بالفندق
- عدد المقابلات: 04 مقابلات

جدول عرض المقابلات للحالة الأولى- منال-:

المقابلات	المكان	اليوم	المدة	هدف المقابلة
المقابلة الأولى	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-13	30د	التعرف على المبحوثة وكسب ثقتها
المقابلة الثانية	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-15	30د	التعرف أكثر على الوضع الأسري
المقابلة الثالثة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-17	35د	تطبيق اختبار العائلة المتخيلة مع طرح الأسئلة
المقابلة الرابعة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-27	35د	تطبيق اختبار العائلة الحقيقية مع الأسئلة

جدول رقم (01) يوضح عرض المقابلات مع الحالة (01)- منال-

تقديم الحالة (01)- منال-:

- **البنية المورفولوجية:** قامة متوسطة موافقة للسن، البشرة سمراء، عينان بنيتان، شعر بنين جسم نظيف، ملابس غير مرتبة ولكن نظيفة.
- **الوجدان والعاطفة:** ملامح بشوشة، لكن تبدو على وجهها ملامح الحزن والعبوس.
- **اللّغة:** مفهومة.
- **الذاكرة:** جيدة جدا، اتصال سهل، كلامها يفوق سنها..

تحليل المقابلة العيادية للحالة (منال):

المحور الأوّل: علاقة المبحوثة بوالديها

لم يكن دخول الحالة "منال" في هذا المحور مباشرا بل بعد كمون طويل، مع بكاء ضعيف من جهة، ومن جهة أخرى أظهرت "منال" صعوبة كبيرة في الحديث عن هذا الموضوع حيث اتضح من خلال حديثها شعورها بالوحدة والإهمال والقسوة من طرف والديها في قولها: "بابا كي يدير خويا كريم حاجة ما يقلو والو بصح أنا يضربني حتّى نحس الروح نتاعي رايحا تخرج" ونفس الشعور من طرف الأم في قولها: "ماما متحبنيش تخمم غير في خويا عليلو كي عاد يخدم في الجيش أنا ندخل ولا نخرج معالبالهاش بيا" وهذا مؤشر يدل على إهمال وجداني، وبعد تذبذب افي الحديث صرحت بأن والدها يتعاطى المشروبات الكحولية في قولها: "صحاب بابا ماشي ملاح كي تبعهم بابا ولا ماشي مليح لأنوا بابا يشرب معاهم السكرة"، بعدها تعود إلى التحدث عن العلاقة بالوالد وتوصرها له والصراخ من طرفه على شكل من العنف وسوء المعاملة: "مكانش يبان غير يعيط عليا، حتّى مرة قلي نتي جيتي غلطة" دليل على أنّه حمل غير مرغوب فيه حيث يظهر هذا حضور وغياب الأب أي التواجد المتقطع له والصورة القاسية التّي ترسمها الطفلة له، وفي رجوعها للحديث عن أمها استعملت دفاعات إكتئابية ولوم على الأم في قولها: "في عوض اناها تحبني لأني بنتها الصغيرة والوحيدة في الدار زادت بعدت عليا، هي كيما بابا برك".

وعند شعورها أنّ أمها لا تفضلها في الأسرة يظهر عدم التقبل من خلال إسقاطها لتلك المشاعر على الإخوة: "هما زعما تحبهم" حيث وظفت "زعما" كسند للتخفيف من أثر الصدمة والتشكيك في مشاعر حب أمها لإخوتها الآخرين، لنجدها تعود لتظهر دوما صورة المرأة بنوع من الضعف وغيابها كدعم: "ماما مسكينة"، "أنا مسكينة" هذا ما يوضح تقمصها لسلطة الأب ونظرتها للأم التّي تتقمصها المبحوثة خلال طفولتها.

المحور الثاني: علاقة المبحوثة بإخوتها

فيما يخص علاقة المبحوثة بإخوتها كان هناك دخول مباشر في الموضوع مع تفصيل لنمط العلاقة اليومية مع أخوها الصغير: "نخرج معاه... نتفرج الرسوم معاه... نروح للحانوت معاه"، "ويقلي"، "واش راكي حابة تاكلي يبالي كشغل مليح معايا ويحبني" هذا ما يظهر استعمال المبحوثة لميكانيزم الانشطار، حيث ترى أخوها تارة كموضوع جيد: "أي مليح معايا" وتارة أخرى كموضوع سيء في قولها: "كي يقعد معانا ويشوفهم كيفاش مهمليني هو ثاني يولي معلابالوش بيا" كمحاولة التخفيف من حدة الصراع الداخلي، أمّا في الحديث عن أخوها الأكبر أبدت نوعا من الاحتقار والرغبة في إقصائه والغيرة والرفض له في قولها: "لوكان مكانش هو ماما كانت تحبني أنا... وماكانتش تهملني هكذا" استعملت بهذا ميكانيزم التبرير لتبرير الواقع الّذي تعيشه هذه المبحوثة، ودائما في علاقتها باخوها الأكبر صرحت في قولها: "ذرك تلقايه حنين عليك أكثر من ماماك... إنسان حنين... إنسان متقدريش تتصوريه" مثلية إيجابية للأخ في كلامها وتصوراتها للأخ الأكبر، أمّا في السياق النرجسي نسجل في قولها: "حنين عليا... ما يقبلش نتحقر" ولكن إهمالها من طرف الأم جعلها لا تتجاوب مع هذه المعاملة.

المحور الثالث: علاقة والدين المبحوثة ببعضهم البعض

في هذا المحور وفي حديثها عن والدها في البداية أبدت أنّ والداها في علاقة جيدة في قولها: "عايشين مع بعضاهم لباس عليهم" وبعدها أظهرت الطفلة طبيعة السلطة والتماهيات التّي تحدد نمط العلاقة في الأسرة في قولها: "بابا لي يحكم في الدار وماما لوكان تدير غير حاجة صغيرة... ذاك النهار ميفوتش على خير"، واظهرت المبحوثة كذلك أنّ الصراع بين الوالدين يزداد عندما يدخل والدها وهو حامل لقارورة المشروبات الكحولية للمنزل في قولها: "بابا كي يجي داخل للدار وهاز معاه القرعة نتاع السكرة... يضرب ماما وماما تقلو ماكش راجل، لوكان جيت راجل متدخلش بالسكرة لولادك ومرتك... وهو يزيد يضربها ويقتلها بالضرب"، وكذلك غياب دور والدها المادي في الأسرة هذا ما زاد العلاقة الزوجية تعقيدا في قولها: "ماما هي لي تصرف علينا بابا ميصرفش علينا... ماما تعطيلوا دراهم باش يصرقلنا... ودراهموت معلابالیش واش يدير بيهم"، أمّا بالنسبة للأم فهي لا تبالي بعلاقتها معه بل تتواجد في الأسرة من أجل أولادها فقط يظهر ذلك في قولها: "ماما لوكان مجاوش خاوتي في الدار... راها مهيش فيها... راها راحت لدار جدة... وهي ديما تقولها لنا" أي تهديد بالهجر من قبل الأم.

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية للمبحوثة

كان دخول المبحوثة غير مباشر حيث تميز بتحفظات كلامية من أجل إعطاء نفسها فرة لإرصان تصوراتها: "عادي... كأي طفلة... بصح النّاس خزرتهم ماشي مليحة... وزادوا كي عادوا يعرفوا بلي بابا يسكر... النّاس كامل تحقرني وتظلمني" مؤشر على الابتذال لعدم الإفصاح (Fanolisation) فيظهر إلمامها على مواضيع تكاملية من أجل تجاوز الشعور بالوحدة والإهمال جراء الواقع الّذي تعيشه في علاقتها مع الأب كونه أثر علاقة طفل وأبيه وكذلك علاقتها مع امها كونها أثر في تشكيل علاقة طفل– أم: "نحب النّاس يحبوني برك... منحبش يشوفوا والديا كيفاش ميحبونيش" حيث تلجأ إلى التمسك بالواقع الديني لأجل إرصان الصراع الداخلي في قولها: "ماما وبابا ربي يهديهم"، وفيما يخص نظرة الآخرين المستقبلية

لها ربطتها المبحوثة بواقع خروج والدها من هذه الحالة وأملها فيها بقولها: "نتمنا بابا يبطل السكرة... ونرجع عندي أب كيما قاع البنات لي كيما أنا".

وفي تكيفها المدرسي فإنّ تحصيلها الدراسي ضعيف وذلك بمعدل 05 من 10 وهو ما يوافق آراء المعلمين حولها وهو ما يندرج في إطار الكف الفكري، وكفها الفكري يرتبط بإشكالات العلائقية مع والديها كونها غير مفضلة لكليهما كما يقول "قيومينود": "كلّ كف يظهر في علاقة مع آخر..." والكف يبدو كعائق للاتصال مع الغير: "... وقد يكون الكف تعبيرا عن صعوبة مرتبطة بالتنظيم النفسي". (ناديا شرادي، 2011، ص250)

يتضح أنّ الكف يحدث وليحد من وظيفة الأنا، ويلجئ إليه كميكانيزم دفاعي لفقر في الواقع النفسي الداخلي وهذا ما يؤكده "مارتيني". (ناديا شرادي، 2011، ص253)

تطبيق اختبار رسم العائلة للحالة الأولى (منال):

1- اختبار رسم العائلة المتخيلة:

قمنا بإعطاء الحالة "منال" ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام ملونة ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسم عائلتك من خيالك"، فوافقت مباشرة، رسمت أوّلا الأخ كريم ثمّ الأخ عليلو ثمّ رسمت نفسها وبعدها رسمت الأب وأخيرا الأم، رسمت الحالة العائلة المتخيلة عائلتها هي نفسها تبدو على وجوههم الابتسامة، استغرقت في الرسم حوالي 35د، وذلك لتوقفها في كلّ مرة وتفكيرها ماذا تضيف.

2- فيما يخص اختبار العائلة الحقيقي:

قمنا بإعطاء الحالة منال ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام ملونة ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسمي عائلتك الحقيقية".

لم تعارض الرسم في حد ذاته، لكنّها أبدت نوعا من الارتباك، كانت مدة الرسم 35د، بدأت برسم الأخ الأصغر "كريم" ثمّ رسمت نفسها وبعدها رسمت الأخ الأكبر "عليلو" يليه الأب وأخيرا رسمت الأم.

عرض نتائج اختبار رسم العائلة:

أ- العائلة المتخيلة:

- الاتجاه: ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين.

- الحجم: كان حجم الرسم صغيرا بالنسبة لكل أفراد العائلة.

الإجابة على أسئلة العائلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: لا أحد.

- من هو الأقل سعادة؟ قالت: الكل، لماذا؟ رفضت الإجابة.

- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأخ الأصغر كريم، لماذا؟ لأنو حنين عليا.

- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب والأم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: كريم، لماذا؟ هكذا.

ب- اختبار رسم العائلة الحقيقية:

- الاتجاه: ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين.

- الحجم: رسمت أفراد الأسرة بحجم صغير.

الإجابة عن الأسئلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: لا أحد، لماذا؟ حنا هكذا.

- من هو الأقل سعادة؟ قالت: الكل، لماذا؟ رفضت الإجابة.

- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: خويا كريم، لماذا؟ يحبني خويا.

- من هو الاقل لطفا؟ قالت: الأب والأم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: كريم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

تحليل العائلة المتخيلة للحالة الأولى (منال):

1- المستوى البنائي:

أ- نوعية الخط: استعملت المبحوثة خطوط ضعيفة، يدل على ضعف الدوافع.

ب- البعد المكاني للورقة: شغل الرسم المنطقة السفلى من الورقة وهي منطقة الغرائز الأولية للحياة والجهة اليسرى للورقة وهي مؤشر على النكوص.

ج- اتجاه الرسم: ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- البنية الشكلية للشّخص (تحليل رسم الشّخص):

رسمت المبحوثة (منال) نفسها بأيادي مفتوحة دليل على الحاجة إلى الأمن والرعاية، كما رسمت نفسها بالتنورة منفتحة مؤشر على النرجسية الأنثوية التعويضية في حركة تقمصية، كما رسمت أعينها على شكل نقطة مؤشر على الحذر والاحتراس وهو ما يعكس واقع الأسرة كما يدل على أنّها منسية داخل الأسرة.

رسمت المبحوثة (منال) أنفها على شكل نقطة مؤشر على إشكالات جنسية.

ب- الدلالات العاطفية:

تظهر الحالة من خلال الرسم ميولات عاطفية إيجابية اتجاه الأخ الأصغر "كريم" وذلك بإظهار المحبة والإعجاب من خلال رسم تفاصيل وجهه ووضوحها وكبر حجمها.

كما تظهر ميولات عاطفية سلبية اتجاه الأم والأب وذلك الأخر الأكبر "عليلو" من خلال غياب تفاصيل الرسم وكذلك صغر حجم الأم والأب.

ج- جهازها الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ دفاعات الأنا لدى المبحوثة محفزة بشكل جيد من خلال تجنب القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص.

البنية الشكلية للجماعة:

- النموذج الحسي:

كان مبدأ الأفضلية في الرسم للأخ الأصغر "كريم" مؤشرا على إعطائه قيمة وأهمية، آخر من رسمت هو الأم هذا يوحي بعدم التقدير، كما رسمت الأب والأم بحجم صغير مؤشر على التصغير والاحتقار، رسمت كلّ أفراد العائلة بأيادي مفتوحة وهذا يوحي إلى الحاجة إلى الأمن والاستقرار في الأسرة، كما كانت ملامح غير ظاهرة في أعين نقطية وأنف كذلك وأحيانا غيابه دلالة على أنهم منسيين.

- النموذج العقلي:

من خلال الرسم نجد هناك تفرقة في الرسم بين الجنسين، وكذلك إتقانها للرسم مؤشر على النضج.

من جهة أخرى نجد هناك عدم استعمال الألوان وذلك مؤشر على وجود فراغ عاطفي.

- مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (منال) نلاحظ وجود بعد في المسافات نوعا ما بين أفراد العائلة وهذا يوحي بصعوبة التواصل بينهم.

التقمصات الوالدية:

هذه التماهيات هي العنصر الأساسي للموقف الأوديبي وهنا فإنّنا نلاحظ نوعين من التماهيات: أن تميل الإناث إلى التماهي بالأم وأن يميل الذكور للتماهي بالأب وهذا أمر طبيعي يتماشى مع الأنا الأم هي التّي تؤمن الإشباع وهي مصدر الرضا. (باسمة المنلا، 1995، ص:226)

تحليل نوعية التقمصات بالنسبة للحالة (منال):

من خلال إجابة المبحوثة (منال) على الأسئلة التالية في كلّ من العائلة الحقيقي والخيالية:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: لا أحد.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: الكل، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأخ الأصغر كريم، لماذا؟ لأنو حنين عليا.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب والأم، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: كريم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

تحليل العائلة الحقيقية للحالة الأولى (منال):

1- المستوى البنائي:

أ- نوعية الخط: استعملت المبحوثة خطوط قوية وهذا دليل على قوة دافعة للعنف.

ب- البعد المكاني للورقة: شغل الرسم بالمنطقة السفلى من الورقة وهي منطقة الغرائز الأولية للحياة والجهة اليسرى للورقة وهي مؤشر على النكوص.

ج- اتجاه الرسم: ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- البنية الشّكلية للشّخص:

رسمت المبحوثة (منال) نفسها بأيادي مفتوحة دليل على الحاجة إلى الأمن والرعاية، كما رسمت نفسها بالتنورة منفتحة مؤشر على النرجسية الأنثوية التعويضية في حركة تقمصية، شوهت رسم وجهها حيث رسمت وجهها بملامح غير واضحة وهو ما يعكس الحالة التّي تعيشها المبحوثة (منال) داخل الأسرة.

غياب الأنف مؤشر على إشكالات جنسية.

ب- الدلالات العاطفية:

تظهر الحالة من خلال الرسم ميولات عاطفية إيجابية اتجاه الأخ الأصغر "كريم" وذلك من خلال رسم تفاصيل وجهه ووضوحها وكبر حجمها، كما تظهر ميولات عاطفية سلبية اتجاه الأم والأب من خلال غياب تفاصيل الوجه في الرسم وكذلك صغر حجمها.

ج- جهازها الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ دفاعات الأنا لدى المبحوثة محفزة بشكل جيد من خلال تجنب القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص.

البنية الشكلية للجماعة:

- النموذج الحسي:

بدأت الحالة (منال) برسم الأخ الاصغر كريم كذلك في العائلة الحقيقية هذا يوحي بإعطائه قيمة وأهمية، كما رسمته بأعين كبيرة مؤشر عن ميول الانبساطية.

وكذلك رسمت الحالة (منال) جميع افراد العائلة دلالة لخضوعها للواقع، آخر من رسمته هو الأم مؤشر على إنقاص لقيمتها، غياب الأنف في الرسم ورسمه على شكل نقطة أحيانا أخرى دليل على إشكالات جنسية.

رسم الأعين على شكل نقطة مؤشر على الحذر والاحتراس وهو ما يعكس واقع الأسرة، كذلك انعدام الأذنين دلالة على انعدام الإحساس بالأمن والخوف، رسمت جميع أفراد العائلة بوجوه توحي بالعدوانية وهو ما يعكس واقع الأسرة.

- النموذج العقلي:

من خلال الرسم نجد هناك تفرقة في الرسم بين الجنسين، وكذلك إتقانها للرسم مؤشر على النضج.

كذلك كثرة الخطوط المستقيمة وهذا من النمط العقلي فهو يدل على ميكانزيمات الدفاع الحالي واقعي عدواني.

غياب الألوان مؤشر على وجود فراغ عاطفي.

- مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (منال) نجد هناك بعد في المسافات نوعا ما بين الأفراد وهذا ما يوحي بصعوبة التواصل بينهم.

ومن خلال الرسم الّذي قامت به في كلّ من العائلة الحقيقية والخيالية وكذلك المقابلات التّي أجريت معها نجد أنّ هناك:

أ- التقمص بالأم (رسم الأم في كلّ من العائلة الحقيقية والخيالية):

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد أن هناك رفض وإقصاء للتقمص بالأم.

ب- التقمص بالأب (رسم الأب في كلّ من العائلة الحقيقية والخيالية):

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد هناك رفض كذلك وإقصاء للتقمص بالأب.

ج- التقمص بالأخ المفضل:

نلاحظ في الرسم أنّها قامت برسم الأخ الأصغر "كريم" في المرتبة الأولى وبملامح جد واضحة مؤشر على تقمصها له، يدعى هذا التقمص بالتقمصات العميقة (Identification profondes). (كريمة علاق، ص100)

كذلك نجد أنّ الحالة تتقمص الأنا (Identification du moi) حيث ظهر ذلك في البداية على شكل تقمصها للواقع حيث مثلت فيه الطفلة "منال" نفسها كما هي في الواقع حسب واقعية شروطها الحياتية سنا وجنسا وصرحت بأنّها هي في الرسم. (كريمة علاق، ص99)

استنتاج تحليل رسم العائلة والمقابلات:

من خلال تحليل رسم العائلة والمقابلات التّي أجريت مع الحالة تبين ما يلي:

- لدى الحالة نوع من الإهمال العاطفي من قبل الأسرة خاصّة الأب والأم، ظهر ذلك من خلال المقابلات التّي اجريت معها ومن خلال تطبيق رسم العائلة.
- التسلط من طرف الأب على الأسرة والتفرقة في المعاملة من طرف الأب والأم هذا ما أثر على نفسيتها كطفلة وعلى تحصيلها الدراسي كتلميذة.
- لدى الحالة كف وصعوبة في التعامل مع العالم الخارجي ما أدى إلى غياب الاستقلالية ونقص الثقة في النفس.
- نقص العلاقة مع الأب وهذا ما صرحت به في المقابلات التّي أجريت معها.

خلاصة الحالة:

تعيش الحالة (منال) نوعا من الإهمال العاطفي في الأسرة والحرمان وكذا التفرقة في المعاملة ممّا أدى إلى تغير في بنية التقمصات عندها تمثل في تقمصمها للأخ الأصغر، وكذا تدهور مستواها الدراسي بسبب نقص الثقة في النفس.

2/ دراسة الحالة الثانية (فرح):

- **المعلومات الأولية:**

- الاسم: فرح
- الجنس: أنثى
- السن: 09 سنوات
- المستوى المعيشي: جيد جدا
- المستوى الدراسي: الرابعة ابتدائي
- مكان الدراسة: مؤسسة ابتدائية
- مكان السكن: سكن عمراني
- عدد الإخوة: 04 إخوة، 03 إناث، الذكر: 01

- رتبة الحالة: 05 والأخيرة
- مهنة الأب: مفتش في اللّغة الفرنسية
- مهنة الأم: ربة بيت
- عدد المقابلات: 04 مقابلات

جدول عرض المقابلات للحالة الثانية- فرح-:

المقابلات	المكان	اليوم	المدة	هدف المقابلة
المقابلة الأولى	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-13	30د	مقابلة مع معلمة الحالة امدتنا بمعلومات عن الحالة ثمّ التعرف على الحالة وكسب ثقتها
المقابلة الثانية	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-15	35د	التعرف أكثر على الحالة والوضع الأسري
المقابلة الثالثة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-17	25د	تطبيق اختبار العائلة المتخيلة مع الأسئلة
المقابلة الرابعة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-27	20د	تطبيق اختبار العائلة الحقيقية مع الأسئلة

جدول رقم (02) يوضح عرض المقابلات مع الحالة (02)- فرح-

تقديم الحالة:

- **البنية المورفولوجية:** تبدو الحالة متوسطة الجسم، بيضاء البشرة، شقراء الشعر، ذات عينان بنيتان.
- **الوجدان والعاطفة:** تبدو الحالة هادئة منبسطة لم تبدي أي صعوبة أثناء المقابلات.
- **ملامح الوجه:** تبدو الحالة بشوشة وفرحة تساعد كثيرا في الحديث
- **اللّغة:** سليمة.
- **الذاكرة:** قوية.

تحليل المقابلة العيادية مع الحالة (فرح):

المحور الأوّل: علاقة المبحوثة بوالديها

فيما يخص المحور الأوّل علاقة المبحوثة بوالديها أين تعبر عن طبيعة العلاقة مع والديها من خلال: "مليحة، مليحة بزاف" وكذلك: "نحب بزاف ماما وبابا" أي وجود مثلنة إيجابية للعلاقة بمواضيع الحب، أمّا في كلامها نلاحظ أنّ وجود الأم لموضوع مستثمر في قولها: "مانقدرش نتخيل حياتي بلا ماما"، "ماما نحتاجها بزاف هي تحبني"، فالأم مستثمرة كموضوع لا يمكن الاستغناء عنها ومستثمرة أيضا كموضوع سند Object d'étayage، أما في الحديث عن والد المبحوثة اتضح من خلال حديثها وجود السند والدعم وطبيعة العلاقة الجيدة التّي تربطها بوالدها في قولها: "بابا إنسان حنين– حنين على خاوتي بصح عليا كثير" لنجد بعض الدفاعات النرجسية من خلال قولها: "دايما نحب نبين روحي... زعما أنا خير من هاذوك" من خلال الطابع التنافسي (من أحسن من هاذوك) كمحاولة لإظهار المكانة وقوة الشّخصية سجلنا كذلك من خلال الحديث مع المبحوثة وجود تنافس اخوي بينها وبين أختها "آية" في كسب حب الوالدين وحنانهما في قولها: "ختي آية كي تشوف ماما عطاتني حاجة تروح ليها وتقلها أعطيني أنا ثاني... وتروح تجي عند بابا وتقعد زعما زكارة فيا" وهذا ما يدخل في إطار التنافس الأخوي (La rioalité fraterile).

المحور الثاني: علاقة المبحوثة بإخوتها

نجد في هذا المحور الصورة الهوامية للأخ الأكبر في قولها: "نحبو بزاف كي نروح ليه للحانوت يعطيني الحلاوة" خاصّة المكافآت الفمية (الحلوى) وكذلك: "هو ثاني يحبني بزاف" ما دل على علاقة العطف والحب الموجودة بينهما مقارنة مع أختها آية التّي تكبرها بـ03 سنوات والتعب اتضح من خلال حديثها وجود علاقة تتسبب بنوع من التوتر والعدوانية والعنف جسديا، كون وجود تنافس من قبل أختها آية في قولها: "تغير مني بزاف وتضربني وثاني كي نقلها مديلي حاجة متعطينيش وتعطي لخواتاتي لخرين"، وبما أنّ المبحوثة هي المدللة من قبل والديها كونها البنت الصغرى في الأسرة جعل المبحوثة تحس بنوع من

الارتياح والدعم ممّا خفف القلق والمعاناة التّي تعيشها، أمّا في الحديث عن باقي غخوتها البنات الأكبر منها سنا كلّ من "وصال" و"دنيا" كان الحديث عنهن قليلا جدا اتضح وجود استقرار وحب بينهم في قولها: "يحبوني ما يدرولي والو... يجبوني".

المحور الثالث: علاقة والدي المبحوثة ببعضهم البعض:

كان دخول المبحوثة مباشر حيث اتضح من خلال حديثها وجود الحب والحنان والدفئ بينهما والعلاقة الجيدة التّي تربطهما في قولها: "ماما وبابا متفاهمين بزاف... وثاني ميتقلقوش من بعضاهم" هذا الحديث مع وجود نوع من الفرح والابتهاج والسرور في حديثهما، أمّا فيما يتعلق بالأم فقد تبين من خلال تصريح المبحوثة أنّها تتمسك بأهمية النظرة الإيجابية كسند ودعم يلغي النقص الداخلي الّذي تحسه في قولها: "أنا بلا باباكم منقدر ندير والو... نحب يقول عليا مرة ونص... زاهي فحلة" هذا ما يوضح أن نمط علاقتهما تكاملي وانتظار التثمين من الزوج Nolanjation، أمّا في الحديث عن الأب نجد قبوله للزوجة بكل إصرار بغض النظر عن رأي الآخرين في قول المبحوثة: "جدة وماما ميتفاهموش... وجدة تكره ماما بصح بابا دايما واقف مع ماما... ويقلها نتيا لي تبليتيها" هنا عبرت المبحوثة عن وجود صراع بين شخصيتين بين أم الأب (الجدة من الأب) وبين أمها مع التأكيد على الطابع المثالي للعلاقة بين الزوجين والمساندة الغير مشروطة من الأب للأم.

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية للمبحوثة

لم تتعمق في علاقتها بالآخرين ونظرتهم لها في قولها: "زملائي عادي... نلعب معاهم... ونقرى معاهم... عادي" وكذلك في حديثها عن المحيطين بها أكدت مشاعر الحب والتفاهم في قولها: "النّاس يحبوني... صح صح يحبوني"، وفي الأخير ختمت المبحوثة بقولها: "نتمنى نبقى نحب النّاس كيما هكا... وهما ثاني يبقاو يحبوني كيما راهم يحبوني ضرك".

تطبيق اختبار رسم العائلة للحالة الثانية (فرح):

1- اختبار رسم العائلة المتخيلة:

قمنا بإعطاء الحالة "فرح" ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام ملونة ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسم عائلتك من خيالك"، وافقت بالرسم دون اعتراض، رسمت أوّلا الأب وبجانبه مباشرة الأم وأكملت في الرسم كلّ أفراد العائلة من بينهم نفسها، دامت مدة الرسم 25د، وقامت بتلوين الرسم.

2- فيما يخص اختبار العائلة الحقيقي:

قمنا بإعطاء الحالة منال ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام ملونة ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسمي عائلتك الحقيقية".

كذلك لم تعارض الرسم، دامت مدة الرسم حوالي 20د، رسمت الأخوات الإناث الثلاثة كلهم: وصال، آية، دنيا، ورسمت الأخ وليد الوحيد وكذلك رسمت نفسها، حذفت في الرسم كلّ من الأب والأم وقامت بتلوين الرسم.

عرض نتائج اختبار رسم العائلة:

أ- العائلة المتخيلة:

- الاتجاه: كان الرسم من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل
- الحجم: كان الرسم كبيرا لكل فرد قامت برسمه.

الإجابة على أسئلة العائلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: لا يوجد، لماذا؟ هكذا.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ تحبني بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: لا أحد، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: الأم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

ب- اختبار رسم العائلة الحقيقية:

- الاتجاه: ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين.

- الحجم: رسمت أفراد الأسرة بحجم كبير.

الإجابة عن الأسئلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل.

- من هو الأقل سعادة؟ قالت: هذه على شخصية الأخت آية، لماذا؟ لأنّهم يحبونني أكثر منها.

- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأخ، لماذا؟ يعطيني الحلاوة من الحانوت نتاعو.

- من هو الاقل لطفا؟ قالت: آية، لماذا؟ أجابت: كهذا.

- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: أن تكون نفسها كما هي، لماذا؟ هكذا.

تحليل العائلة المتخيلة للحالة الثانية (فرح):

1- المستوى البنائي:

أ- **نوعية الخط:** استعملت المبحوثة خطوط ضعيفة، يدل على ضعف الدوافع.

ب- **البعد المكاني للورقة:** شغل الرسم المنطقة اليسرى للورقة وهي مؤشر على النكوص.

ج- **اتجاه الرسم:** ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- **البنية الشكلية للشّخص (تحليل رسم الشّخص):**

لم تقم الحالة (فرح) برسم نفسها في العائلة الخيالية فيمكن أن يدل على الرغبة في إلغاء نفسها وكذلك النسق الأخوي الّذي لم ترسمه كذلك، أو يدل على الرغبة في عزل الوالدين لوحدهما.

ب- **الدلالات العاطفية:**

تظهر الحالة (فرح) من خلال الرسومات ميولات عاطفية إيجابية اتجاه الوالدين وذلك بإظهار المحبة والإعجاب لهما من خلال رسم تفاصيل وجههما ووضوحها وكبر حجمها.

ج- جهازها الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ دفاعات الأنا لديها أي المبحوثة (فرح) محفزة بشكل جيد من خلال القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص وإنكار الحقيقة.

البنية الشكلية للجماعة:

- النموذج الحسي:

كان مبدأ الأفضلية في الرسم للأب مؤشرا على إعطائه قيمة وأهمية مقارنة مع الأم، كما رسمت الأم بتنورة منفتحة مؤشر على النرجسية الأنثوية التعويضية في حركة تقمصية، كما رسمت شعرها (الأم) مموج مؤشر على النرجسية، كما رسمة قامة الأم أكبر من قامة الأب مؤشر على التصغير مقارنة بالأم، كذلك غياب الأذنين دلالة على انعدام الإحساس بالأمن والخوف، كذلك قامت المبحوثة (فرح) بحذف الأيدي الّذي يوحي بالغموض وكذلك رسم الأنف الّذي لديه دلالة قضيبية.

- النموذج العقلي:

- من خلال الرسم نجد هناك تفرقة بين الجنسين، إضافة إلى إتقانها للرسم مؤشر على النضج.
- استعمال اللّون الأسود مؤشر على القلق.
- استعمال اللّون الأحمر يشير إلى الميول العدوانية كذلك نقص افي التحكم الانفعالي وكذلك يمثل شدة الانفعال.
- استعمال اللّون الأصفر يشير إلى تبعية كبيرة من قبل الحالة "فرح" للراشد، وكذلك عدم التكيف الاجتماعي والعائلي ومختلف الصراعات التّي تعاني منها الحالة.

- مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (فرح) نجد أنّ هناك تقارب في المسافة بين الأفراد المرسومة مؤشر على وجود علاقة حميمية ووجود الألفة.

اختبار رسم العائلة للحالة الثانية (فرح):

1- المستوى البنائي:

أ- **نوعية الخط:** استعملت المبحوثة خطوط ضعيفة، يدل على ضعف الدوافع، كف المشاعر.

ب- **البعد المكاني للورقة:** شغل الرسم مساحة كلّ الورقة وذلك مؤشر على الحيوية وهو ما يعكس ذلك في الواقع

ج- **اتجاه الرسم:** ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- **البنية الشّكلية للشّخص (تحليل رسم الشّخص):**

رسمت الحالة (فرح) نفسها بشعر ممو ج مؤشر على النرجسية، غياب الأنف مؤشر على أنّ الحالة لديها إشكالات جنسية، واستعملت مساسيك الشعر مؤشر على قدرتها على الكبت، رسمت الحالة (فرح) نفسها بدون أيدي والذي يوحي بالغموض، كذلك غياب الأذنين يدل على انعدام الإحساس بالأمن والخوف.

ب- الدلالات العاطفية:

تظهر الحالة من خلال الرسم ميولات عاطفية إيجابية اتجاه الأخ الأكبر وذلك من خلال رسم تفاصيل وجهه ووضوحها وهذا مع كامل الإخوة ما عدا الأخت "آية" التّي أظهرت ميولات عاطفية سلبية اتجاهها صغر حجمها في الرسم.

ج- الجهاز الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ دفاعات الأنا لدى المبحوثة محفزة بشكل جيد من خلال تجنب القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص.

البنية الشكلية للجماعة:

- **النموذج الحسي:**

- بدأت الحالة (فرح) برسم الأخ الأكبر وهذا يوحي بإعطائه قيمة وأهمية.
- رسمت بعض أفراد العائلة بدون أنف مؤشر على الإشكالات جنسية.
- كما رسمت قامة الاخت "آية" صغيرة مقارنة بالحالة "فرح" التّي تعتبر هي الأصغر في الأسرة مؤشر على تصغيرها واحتقارها.
- كذلك غياب الأذنين لكافة الأفراد مؤشر على انعدام الإحساس بالأمن والخوف.
- غياب الأيدي والذي يوحي بالغموض، حذف في الرسم كلّ من الأب والأم ورسمهما في العائلة الخيالية لوحدهما مؤشر على الرغبة في عزلهما وإلغائهما عنها وعن النسق الأخوي.
- استعملت الحالة "فرح" اللّون الأصفر يشير إلى تبعية كبيرة من قبل الحالة "فرح" للراشد وكذلك عدم التكيف الاجتماعي والعائلي ومختلف الصراعات التي تعاني منها الحالة.
- استعملت اللّون البني مؤشر على حركة نكوصية.
- استعملت اللّون الأحمر يشير إلى الميول العدوانية، كذلك نقص في التحكم الانفعالي وكذلك يمثل شدة الانفعال.
- استعملت الحالة "فرح" اللّون الأسود مؤشر على القلق.
- استعمال اللّون الازرق من طرف الحالة "فرح" يشير إلى التكيف الجيد.
- استعملت اللّون الأخضر مؤشر على العلاقات الاجتماعية والآمال.

- **النموذج العقلي:**

من خلال الرسم نجد هناك تفرقة في الرسم بين الجنسين، إضافة إلى ذلك إتقان للرسم مؤشر على النضج.

كذلك كثرة الخطوط المستقيمة وهذا من النمط العقلي.

مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (فرح) نجد هناك بعد في المسافة بين الأفراد مؤشر على صعوبة التواصل بينهم.

أمّا الأخت "وصال" فقد قامت الحالة "فرح" برسمها بجانبها مؤشر على قربها منها في الواقع.

تحليل نوعية التقمصات بالنسبة للحالة الثانية (فرح):

من خلال إجابة المبحوثة (فرح) على الأسئلة التالية في العائلة الخيالية:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: لا يوجد، لماذا؟ هكذا.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ تحبني بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: لا أحد، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: الأم، لماذا؟ رفضت الإجابة.

ومن خلال إجابتها على الأسئلة في العائلة الحقيقية والتّي هي كالتالي:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: هذه على شخصية الأخت آية، لماذا؟ لأنّهم يحبونني أكثر منها.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأخ، لماذا؟ يعطيني الحلاوة من الحانوت نتاعو.
- من هو الاقل لطفا؟ قالت: آية، لماذا؟ أجابت: كهذا.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: أن تكون نفسها كما هي، لماذا؟ هكذا.

ومن خلال الرسم الّذي قامت به في كلّ من العائلة الحقيقية والخيالية وكذا المقابلات التّي أجريت معها نجد أنت هناك:

1- التقمصات الوالدية:

أ- **التقمص بالأم:** (رسم الأم في العائلة الخيالية وإلغائها في العائلة الحقيقية).

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد أن هناك انجذاب وقبول للتقمص بالأم.

ب- **التقمص بالأب** (رسم الأب في العائلة الخيالية وإلغائه في العائلة الحقيقية).

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد أن هناك انجذاب وقبول للتقمص بالأب.

2- تقمص الأنا (identification du moi):

حيث ظهر ذلك في البداية على شكل تقمصها للواقع حيث مثلت فيه الطفلة "فرح" نفسها كما هي في الواقع حسب واقعية شروطها الحياتية سنا وجنسا وصرحت بأنّها هي في الرسم. (كريمة علاق، ص99)

3- التقمص بالأخ المفضل:

نلاحظ في الرسم أنّها قامت برسم الأخ الأكبر " في المرتبة الأولى وبكثير من الاعتناء والاهتمام، مؤشر على تقمصها له، وهذا ما يدعى بالتقمصات العميقة (Identification profondes). (كريمة علاق، ص100)

استنتاج تحليل رسم العائلة والمقابلات:

- الحالة متعلقة بالأخ الأكبر كونه يحبها ويهتم بأمرها.
- لدى الحالة نوع من الإسراف في التدليل كونها الطفلة الأصغر في العائلة أدى هذا إلى ظهور التقمصات بالأخ وكذا الوالدين.

خلاصة الحالة:

الحالة لا تعاني من أي تأثيرات أسرية كالإهمال، العنف الأسري... الخ، وتميزت بالإسراف في التدليل أدى إلى ظهور نوعية التقمصات لديها.

3/ دراسة الحالة الثالثة (مريم):

- **المعلومات الأولية:**

- الاسم: مريم
- الجنس: أنثى
- السن: 08 سنوات
- المستوى المعيشي: ممتاز
- المستوى الدراسي: الثالثة ابتدائي
- مكان الدراسة: مؤسسة ابتدائية
- مكان السكن: مسكن خاص
- عدد الإخوة: أخ واحد
- مهنة الأب: أستاذ فرنسية
- مهنة الأم: عاملة بقطاع الفلاحة
- عدد المقابلات: 04 مقابلات

جدول عرض المقابلات للحالة الثالثة- مريم-:

المقابلات	المكان	اليوم	المدة	هدف المقابلة
المقابلة الأولى	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-13	25د	التعرف على الحالة وكسب ثقتها
المقابلة الثانية	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-15	30د	التعرف أكثر على الوضع الأسري
المقابلة الثالثة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-17	20د	تطبيق اختبار العائلة المتخيلة مع الأسئلة
المقابلة الرابعة	داخل المدرسة في قاعة الأساتذة	2019-01-27	15د	تطبيق اختبار العائلة الحقيقية مع الأسئلة

جدول رقم (03) يوضح عرض المقابلات مع الحالة (03)- مريم-

تقديم الحالة "مريم":

- **البنيـة المورفولوجيـة:** قامـة متوسـطة موافقـة للسـن، البشـرة بيضـاء، عينـان بنيتـان، شـعر أشقر، جسم نظيف، ملابس نظيفة ومرتبة.
- **الوجدان والعاطفة:** منبسطة، ملامح الوجه بشوشة، تبدي بعض التوتر لكن لم تبدي أي انزعاج.
- **اللّغة:** سليمة.
- **الذاكرة:** جيدة، اتصال سهلن كلامها يوحي بقدرات عقلية.

تحليل المقابلة العيادية مع الحالة (مريم):

المحور الأوّل: علاقة المبحوثة بوالديها

بدأت في الحديث عن العلاقة مع والديها مع بروز كف واضح في قولها: "نحب بزاف ماما وبابا" مع المثلنة الإيجابية للصور الوالدين وهي خاصية طفلية، أمّا في الحديث عن والد المبحوثة بروز نوع من الإتكالية والسند الدائم لها في قولها: "بابا يحبنا... هو لي يجبلنا كلش... مكانش حتّى واحد يدرنا كيما بابا"، أمّا في الحديث عن الأم طرحت المبحوثة وجود نوع من الخوف والقلق من الأم اتجاه المبحوثة كونها البنت الوحيدة في قولها: "كي نخرج نلعب تقلي متبعديش... وقولي للبنات هوما يجو يلعبو معاك متروحيش لعندهم وتبقى تعس فيا على التاقة"، رغم أنّ الحالة سليمة جسديا وعاطفيا وكذلك التأكيد عن الحب الموجه من قبل الأب والأم حتّى في السنوات الماضية حيث في قولها: "هما سح يحبوني من بكري... كي قبل ما ندخل نقرى"، وفي الحديث عن سبب الحب من طرف والديها قالت: "كي عدت أنا وحدي معنديش ختى وحدة... غير أنا وخويا... يحبونا بزاف بصح أنا نحوس تكون عندي أخت وحدة".

المحور الثاني: علاقة المبحوثة بإخوتها

فيما يخص طبيعة العلاقة التّي تربط المبحوثة بأخيها الوحيد كان ردها مباشرا، حيث دخلت في الحديث مباشرة عن العلاقة بينهما أين تعبر عن طبيعة العلاقة مع أخوها من خلال: "متفاهمين... عادي... نتفاهموا بزاف" ثمّ الانتقال إلى: "نحوس تكون عندي ختي نلعب معاها... هو طفل منقدرش نلعب معاه وزايد كبير عليا بزاف... يقرى في الثانوية"، بحثها عن أخت من نفس جنسها مع التأكيد على الفرق الكبير في السن، إذ نسجل في هذا الانتقال النوعي في الحديث لدى المبحوثة عدم الاستقرار في الحديث عن طابع العلاقة التّي تربطها بأخيها، كذلك صرحت المبحوثة بالمشاعر التّي تكنها لأخيها الأكبر منها المليئة بالاحترام والحب في قولها: "خويا كبر مني... انحبو عندي اخ واحد... وهو ثاني يحبني ويشريلي لحوايج".

المحور الثالث: علاقة والدي المبحوثة ببعضهم البعض:

في هذا المحور صرحت المبحوثة عن العلاقة الحميمية المليئة بالتقدير من طرف الوالدين في قولها: "ماما وبابا متفاهمين ومتعاونين، أمّا في الحديث عن الأم نجدها تضخم دورها كأم وكزوجة في قولها: "لوكان تسيب بابا ميقيسو والو... تعاون فيه بزاف... ماما حنينة كثر من النّاس أكل"، أما في الحديث عن الأب صرحت المبحوثة أنّه بمثابة نوع من السند والدعم العائلي بما يوفره من اعتناء واهتمام في قولها: "بابا واقف مع ماما ومعانا... ميخليناش... يدينا نحوسو... متهلي فينا بواف"، أما في الحديث عن النفقة في الأسرة صرحت المبحوثة بأن الوالدين متقاسمين عبأ الحياة في قولها: "ماما وبابا متعاونين مع بعضاهم... وميتعافروش".

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية للمبحوثة

كان دخول المبحوثة غير مباشر، تميز هذا المحور بتقمصات وتحفظات كلامية من أجل إعطاء نفسها فرصة لإرصان تصوراتها، حيث يظهر اختلال علاقتها بالمواضيع الأخرى كمواضيع استثمار علائقية، لتبرير الدفاعات الإكتئابية في تركيزها في معظم حديثها على نظرة النّاس والأطفال وكيفية تفاعلها معها كونها لا تملك اخت في قولها: "أنا معنديش ختي... النّاس كامل عندهم خاوتهم لبنات إلّا أنا... ماما نقلها زيدي جيبيلي ختي تقلي تديلك العز نتاعك ومتحبش تزيدلي ختي..."، حيث نلمس إحساسها بالوحدة والنقص، لتعود بالواقع الديني في قولها: "زميلاتي كي تزيد عندهم ختهم... نتمنا لوكان أنا ثاني تزيد عندي ختي... ندعي ربي نشاله يعطيني ختي كيما عطا لزميلاتي ختاتهم"، أمّا فيما يخص النظرة المستقبلية لها تمنت المبحوثة وربطتها بزيادة اخت لها في قولها: "نتمنى في المستقبل تزيد عندي ختي كيما صحاباتي ونولي كيفهم".

تطبيق اختبار رسم العائلة للحالة الثالثة (مريم):

1- اختبار رسم العائلة المتخيلة:

قمنا بإعطاء الحالة "مريم" ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام ملونة ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسم عائلتك من خيالك"، فوافقت مباشرة لأنّها تحب الرسم حسب تصريحها، رسمت أوّلا رسمت أوّلا العائلة المتخيلة، بدأت برسم نفسها ثمّ الاخ ثمّ الأم ثمّ أضافت أختا لها بعدها رسمت الأب، كما أضافت سيارة، رسمت الحالة العائلة المتخيلة عائلتها هي في جو فرح والأم تحمل زهرة، ، استغرقت في الرسم حوالي 20د، وذلك لرسمها الدقيق.

2- فيما يخص اختبار العائلة الحقيقي:

قمنا بإعطاء الحالة مريم ورقة رسم (21×27) وقلم رصاص، أقلام تلوين ثمّ أعطيناها تعليمة "أرسمي عائلتك الحقيقية"، لم تعارض كذلك الرسم، بل قامت بالرسم وهي مرتاحة، كانت مدة الرسم حوالي 25د، بدأت برسم الأم ثمّ الأب وبعدها رسمت نفسها ثمّ الأخ.

عرض نتائج اختبار رسم العائلة:

أ- العائلة المتخيلة:

- الاتجاه: كان الرسم من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل.
- الحجم: كان حجم الرسم متوسط ما عدا الأب لم تراعي السن وكان حجم الرأس صغيرا مقارنة بباقي أفراد العائلة.

الإجابة على أسئلة العائلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل لإننا كامل فرحانين بختنا لي زايدة في الدار.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: لا يوجد.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ ماما تحبني بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: أنا على نفسها، لماذا؟ رفضت التبرير.

عرض نتائج اختبار رسم العائلة الحقيقية:

- الاتجاه: بدأت الحالة رسمها من اليسار إلى اليمين ومن الأعلى إلى الأسفل.
- الحجم: رسمت أفراد العائلة بحجم صغير إلّا الأم ونفسها رسمتهم بحجم أكبر بقليل ولم تراعي السن ولا القامة ولا تسلسل أفراد العائلة.

الإجابة عن الأسئلة:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: لا يوجد، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الأقل سعادة؟ أجابت: هي، لماذا؟ لنني معنديش ختي صغيرة نلعب معاها.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ نحبها وتحبني بزاف بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب، لماذا؟ رفضت التبرير
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: الأم، لماذا؟ رفضت التبرير.

تحليل العائلة المتخيلة للحالة الثانية (فرح):

1- المستوى البنائي:

أ- **نوعية الخط:** استعملت الحالة (مريم) خطوط قوية، يدل على العنف والتحرير الغريزي وقوة دافعية.

ب- **البعد المكاني للورقة:** شغل الرسم المنطقة العليا من الورقة وهي المنطقة التّي تدل على حرية الخيال والمثالية، والمنطقة اليسرى وهي منطقة النكوص.

ج- **اتجاه الرسم:** ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- **البنية الشكلية للشّخص**

رسمت المبحوثة (مريم) نفسها هي الأولى في الرسم وهذا دليل على ميول نرجسية (انطواء نرجسي على نفسها) وهذا رمز للتفضيل وتماهيها لشخصيتها، كذلك رسمت شعرها مموج مؤشر على النرجسية، رسمت ايديها مفتوحة مؤشر على الحاجة للأمن والرعاية، رسمت نفسها مبتسمة وهذا ما يوحي إلى رغبتها الشديدة في أن تكون لها أخت صغرى في العائلة.

ب- الدلالات العاطفية:

تظهر الحالة (مريم) من خلال الرسومات ميولات عاطفية إيجابية اتجاه نفسها وذلك من خلال رسم تفاصيل وجههما والعناية في رسمها لنفسها، كما تظهر ميولات عاطفية سلبية اتجاه الأب من خلال غياب تفاصيل الوجه وكذلك صغر حجمه في الرسم.

ج- جهازها الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ دفاعات الأنا لدى المبحوثة محفزة بشكل جيد من خلال القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص.

البنية الشكلية للجماعة:

- النموذج الحسي:

رسمت الحالة (مريم) الأب بحجم صغير وفي المرتبة الاخيرة مؤشر على الاحتقار وعدم إعطائه قيمة وأهمية مقارنة بالأم التّي رسمتها بحجم أكبر مؤشر على التقدير وإعطائها قيمة ومكانة، كذلك رسمت الأم بتنورة منفتحة دليل على النرجسية الأنثوية التعويضية في حركة تقمصية.

كذلك رسمت الأخ بحجم أكبر دليل على التقدير، رسمت الأنف على شكل نقطة وحذفه أحيانا أخرى مؤشر على إشكالات جنسية، كذلك رسمت الأيدي مفتوحة لكل أفراد العائلة ما عدا الأم مؤشر على الحاجة إلى الأمن والرعاية، رسمت الأعين لكل من الأب والأخ على شكل نقطة مؤشر على الحذر والاحتراس، إضافة في الرسم اخت لها وهو ما يعكس رغبتها في الواقع بإضافة اخت صغرى لها، كذلك أضافت سيارة في الرسم وذلك لحبها للسيارة حسب تصريحها.

- النموذج العقلي:

- من خلال الرسم نجد هناك تفرقة بين الجنسين، وكذلك إتقانها للرسم مؤشر على النضج.
- غياب الألوان مؤشر على وجود فراغ عاطفي.

- مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (مريم) نجد أنّ هناك بعد المسافات بين أفراد العائلة وهذا ما يوحي بصعوبة التواصل بينهم.

تحليل العائلة الحقيقية للحالة الثالثة (مريم):

1- المستوى البنائي:

أ- **نوعية الخط:** استعملت المبحوثة خطوط قوية وهذا دليل على العنف وقوة دافعية.

ب- **البعد المكاني للورقة:** شغل الرسم المنطقة العليا من الورقة وهذه المنطقة تدل على حرية الخيال والمثالية، وكذلك وجود فراغ في الروقة يدل على الشيء الممنوع أي أنّ الحالة تعاني من شدة الرقابة الداخلية أو الخارجي.

ج- **اتجاه الرسم:** ظهر اتجاه الرسم من اليسار إلى اليمين دليل على حركة نكوصية.

2- مستوى البناءات الشكلية:

أ- **البنية الشّكلية للشّخص:**

رسمت الحالة (مريم) عينها مفتوحتين وكبيرتين دليل على التفتح على العالم الخارجي، كذلك رسمت أيديها مفتوحة مؤشر على الحاجة للأمن والرعاية، رسمت الحالة (مريم) فمها مفتوحا مؤشر على أنّها تنتظر شيئا ما وهو ما يعكس ذلك في الواقع.

ب- الدلالات العاطفية:

تظهر الحالة من خلال الرسم ميولات عاطفية إيجابية اتجاه الأم وذلك من خلال رسم تفاصيل وجهها وكبر حجمها وإعطائها عناية في الرسم.

كما تظهر ميولات عاطفية سلبية اتجاه الأب والأخ وذلك من خلال غياب تفاصيل الوجه في الرسم وكذلك تصغير حجمهما.

ج- الجهاز الدفاعي:

يظهر من خلال الرسم أنّ الحالة (مريم) دفاعات الأنا لديها محفزة بشكل جيد من خلال تجنب القلق القادم من الخارج من خلال دفاعاتها التّي استعملتها والمتمثلة في النكوص.

البنية الشكلية للجماعة:

- النموذج الحسي:

- بدأت الحالة (مريم) برسم الأم مؤشر على المكانة التّي تحتلها الأم عند المفحوصة وكذا التقدير والاحترام.
- رسمت الأم بتنورة منفتحة مؤشر على النرجسية التعويضية في حركة تقمصية.
- رسمت الأب بحجم صغير مقارنة بالأم مؤشر على التصغير والاحتقار، أما حجم الأم فهو مؤشر على التقدير، وآخر من رسمته هو الأخ دليل على غياب تأثيره داخل الأسرة.
- رسمت الحالة الأيدي مفتوحة لجميع أفراد العائلة مؤشر على الحاجة للأمن والرعاية.
- كذلك رسم الأعين للأب والأخ على شكل نقطة مؤشر على الحذر والاحتراس.
- كذلك رسم الأنف على شكل نقطة أحيانا وغيابه أحيانا أخرى مؤشر على إشكالات جنسية.
- غياب الألوان مؤشر على فراغ عاطفي عند الحالة.

- النموذج العقلي:

من خلال الرسم نجد هناك تفرقة بين الجنسين، إضافة وكذلك إتقانها للرسم وهذا دليل على نضج الحالة.

كذلك كثرة الخطوط المستقيمة وهذا من النمط العقلي.

مستوى المحتوى:

من خلال الرسم الّذي قامت به الحالة (مريم) نجد هناك بعد في المسافات بين الأفراد وهذا مؤشر على صعوبة خلق تواصل بينهم في الأسرة.

تحليل نوعية التقمصات بالنسبة للحالة الثانية (مريم):

من خلال إجابة المبحوثة (مريم) على الأسئلة التالية في العائلة الخيالية:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: الكل لإننا كامل فرحانين بختنا لي زايدة في الدار.
- من هو الأقل سعادة؟ قالت: لا يوجد.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ ماما تحبني بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: أنا على نفسها، لماذا؟ رفضت التبرير.

ومن خلال إجابة المفحوصة كذلك على الأسئلة في العائلة الحقيقية والتّي هي كالتالي:

- من هو الأكثر سعادة؟ قالت: لا يوجد، لماذا؟ رفضت الإجابة.
- من هو الأقل سعادة؟ أجابت: هي، لماذا؟ لنني معنديش ختي صغيرة نلعب معاها.
- من هو الأكثر لطفا؟ قالت: الأم، لماذا؟ نحبها وتحبني بزاف بزاف.
- من هو الأقل لطفا؟ قالت: الأب، لماذا؟ رفضت التبرير
- من هو الشّخص الّذي تودي أن تكوني مثله في المستقبل؟ أجابت: الأم، لماذا؟ رفضت التبرير.

ومن خلال الرسم الّذي قامت به في كلّ من العائلة الحقيقية والخيالية وكذا المقابلات التّي أجريت معها نجد أنت هناك:

1- التقمصات الوالدية:

أ- **التقمص بالأم:** (رسم الأم في العائلة الخيالية والعائلة الحقيقية).

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد أن هناك انجذاب وقبول للتقمص بالأم.

ب- التقمص بالأب (رسم الأب في كلّ من العائلة والعائلة الحقيقية).

- **التقمص على المستوى الشعوري:**

نجد أن هناك رفض وإقصاء للتقمص بالأب.

2- تقمص الأنا (identification du moi):

حيث ظهر ذلك في البداية على شكل تقمصها للواقع حيث مثلت فيه الطفلة نفسها كما هي في الواقع حسب واقعية شروطها الحياتية سنا وجنسا وصرحت بأنّها هي في الرسم. (كريمة علاق، ص99)

استنتاج تحليل المقابلات ورسم العائلة:

من خلال المقابلات مع الحالة (مريم) واختبار رسم العائلة نستنتج أنّ الحالة تتقمص شخصية والدتها وذلك من خلال تقبلها الوالدي لها وكذا تفضيلها كونها البنت الوحيدة في الأسرة، هذا ما ساعد في عملية التقمص لديها.

نقص العلاقة مع الأب حيث لم تتطرق إليه كثيرا في الحديث ولم تعتني به في الرسم.

خلاصة الحالة:

لدى الحالة نوع من التقبل الوالدي تسبب لها في ظهور نوعية التقمصات لديها وكذا تقمصها لنفسها.

مناقشة الفرضيات على ضوء النتائج:

تمهيـــد:

للأسرة تأثير كبير في ظهور نوعية التقمصات عند الأطفال، وجوانب عديدة من شخصيتهم، والأسرة تتكون من عدة أفراد وفردين يكونان أكثر تميزا وهما الأب والأم لكل منها دور خاص في تنشئة الطفل، ويكون لأسلوب معاملتهم له ولوجودهما أو غيابهما أثر كبير على نفسيتهم.

مناقشة الفرضيات على ضوء النتائج:

مناقشة الفرضية الأولى:

"يرتبط التفضيل الوالدي السلبي بنوعية التقمصات هشة وسلبية"، لدراسة هذه الفرضية دراسة دقيقة، لابد من الرجوع إلى الدراسة التاريخية للرسم وهكذا المقابلة العيادية نصف موجهة.

فقد اعتمدنا على اختبار رسم العائلة المتخيلة واختبار رسم العائلة الحقيقية وجاءت نتائج تطبيق هذين الاختبارين كالتالي:

- ظهر في الرسم عند الحالة الأولى "منال" التخفيف من قيمة الوالدين بشكل واضح، واتخذ أشكالا متعددة كالاختصار لأعضاء الجسم تارة ورسم الوالدين في المرتبة الأخيرة تارة أخرى أي بعد نهاية الرسم.

أمّا عند الحالة الثانية "فرح" فقد ظهر حذف للوالدين في رسمها وبالتحديد في العائلة الحقيقية.

وتؤكد علاق بأن الحذف في الرسم يدل على ميكانزيم دفاعي وهو إنكار الحقيقة، ففي نظرها حين ينقص أحد أفراد العائلة في رسمها مع أنّه في حقيقة الأمر موجود وحاضر في المنزل، فإنّنا نستنتج أنّ هذا الشّخص يتمنى في قرارة قلبه اختفائه. (علاق، 1999، ص104).

حيث قامت الحالة الأولى "منال" برسم كلّ من الأب والأم في المرتبة الأخيرة من الرسم في كلّ من العائلة الخيالية والحقيقية.

كما يشكل رسم الوالدين في المرتبة الأخيرة اللاتقدير للشّخص، كما يعني أيضا التخفيض من قيمة الوالدين.

وفي هذا الصدد يعتقد "ويدلوشر" أن اللاتقدير المواجه إلى الوالدين هو تعبير عن القلق اتجاه الصورة الوالدية المدخلة في المرحلة النفسية للأنا الأعلى. (WIDLOCHER, 1984, P210)

وقد أبدت المبحوثتين بناء على نتائج تطبيق اختبار رسم العائلة المتخيلة والحقيقية وعلى نتائج المقابلة مع الحالة "منال"، ظهور علاقة سلبية مع الأب وكذا الأم من خلال رفض صورة الأب والأم والتقليل من قيمتهما تماما وعند الحالة "منال"، من خلال تصويرها أنّ والديها لا يبديان أي نوع من الاهتمام والعناية بهما، وقد أسقطت ذلك على الرسم نوعا من التصغير والاحتقار وعدم العناية في رسمهما، ممّا يكشف عن عدم استقرار في العلاقة نحو الوالدين والفراغ العاطفي والمعاملة السلبية الهشة هي ما أدى إلى انخفاض في مستواها الدراسي أما الحالة "فرح" فقد قامت بحذف الوالدين تماما من النسق العائلي في العائلة الحقيقة مؤشر على الرغبة في إلغائهما و الفراغ العاطفي الموجود و هو عكس ما صرحة به الحالة في المقابلة.

وكذلك من خلال النظرة السلبية واللاتقدير الّذي تكنه الأم للأب وذلك من خلال تصريح الحالة "منال" في المقابلة، أدى بالحالة إلى تكوين نظرة سلبية اتجاهه وهو ما يعكس ما تستنتجه ميلدولف MULDUOLF في هذا الصدد، حيث يعتقد بأن توازن الزوجين ضروري للنمو النفسي العاطفي الجيد للطفل، كما يضيف بأن صورة الأب المدركة والمدخلة لا تتعلق بنظرته الخاصّة لكنّها تتأثر كذلك بصورة الأب التي تحملها الأم اتجاه أب هذا الطفل. (ONANGA & CHANTOL, 2008, P47)

تتضح المشكلات الأوديبية عن الحالة الأولى "منال" بشكل ظاهر في الرسم، فقد قامت الحالة برسم الأخ الأصغر "كريم" هو الأوّل سواء في العائلة الحقيقية أو العائلة الخيالية، علما بأنّها أنثى ويدل هذا في أوديبيات التحليل النفسي على مشكلات أوديبية لم تحل فهي أنثى وتمثل جنس ذكر كما قامت الحالة "فرح" برسم الأخ الأكبر في العائلة الحقيقية و الأب في العائلة الخيالية و هذا كذلك دليل على المشكلات الأوديبية لم تحل فهي أنثى كذلك و تمثلت جنس ذكر.

كما أنّه بمجرد أنّه يرسم الشّخص الأوّل عكس جنسه الّذي يقوم بالرسم مضاف إليه فارق كبير في السن، كون هذا دليلا على اضطراب على الصعيد التماهي. (علاق، 2012، 395)

وقد ركزنا بشكل كبير على إجابات الأسئلة الممكنة للاختبارين (رسم العائلة الحقيقية واختبار رسم العائلة الخيالية) أو ما يعرف بـ "أفضليات التماهيات" والمتمثلة في:

- من الأكثر لطفا؟
- من الأقل لطفا؟
- من الأكثر سعادة؟
- من الأقل سعادة؟ ثمّ البحث عن السبب (لماذا؟).

حيث لاحظنا وجود اتجاه سلبي للموضوع عن الحالة الأولى "منال" من خلال الأسئلة الممكنة للاختبارين، حيث اعتبرت الحالة "منال" أنّ الوالدين أقل لطفا والأقل سعادة في العائلتين المتخيلة والحقيقية.

وما استنتجناه من خلال الحالة الأولى "منال" أنّ الطفل الّذي يتعرض إلى التفضيل الوالدي السلبي فإنّه يتأثر به ويظهر نوعية تقمصات هشة وسلبية وذلك نتيجة سوء المعاملة التّي يتلقاها، ويتفق هذا ما الدراسة التي توصلت إليها (GERI ET DOMA) جيري ودانا إلى أنّ أساليب المعاملة الخاطئة التّي تتمثل في الرفض والإهمال وعدم المبالاة ترتبط بعلاقة موجبة مع كلّ من القلق والاكتئاب والاضطرابات السلوكية والسلوك العدواني خاصّة، كما

تتفق مع دراسة صالح حزين السيد (مصر 1993) موضوعها إساءة المعاملة للطفل، هدفت الدراسة إلى التعرف على نوع الاضطرابات السلوكية والنفسية المرتبطة بإساءة معاملة الطفل (إهمال، عنف، تسلط) دراسة إكلينيكية تكونت من مجموعة من الحالات المدروسة من ثلاث حالات بنات أعمارهن على التوالي: 04 سنوات، 05 و08 سنوات، ويعانين من اضطرابات سلوكية ونفسية نتيجة إساءة من قبل آبائهن عليهن، وقد استخدمت الدراسة أداتين هما اللعب كوسيلة تشخيصية وعلاجية والملاحظة، كما استخدم التحليل لدى الأطفال، وأبدى الأطفال (البنات) الثلاثة من خلال الدراسة عدوانية وعدم القدرة على التحكم في الانفعالات وردود الأفعال، وبالرغم من محاولة الأطفال الاستقلال إلّا أنّه قد ظهرت عليهم علامات عدم الرغبة في الاستقلال والغضب وعدم الثقة والخجل. (صالح حوين، 1993، ص500)

وتتفق هذه النتيجة أيضا مع ما توصلت إليه دراسة القاسمي (2008) والتّي أشارت نتائج تحليل استجابة الأطفال لاختبار CAT أنت الأطفال من ذوي نقص الانتباه/فرط الحركة يعانون من اضطراب في صورة الذات والوالدين والبنية المحيطة بالطفل، فضلا عن الصراعات والإحباطات.

يستنتج من خلال المقابلات وتطبيق اختبار رسم العائلة الحقيقية أنّ الحالة "منال" لديها مشكلات علائقية مع الموضع، وتظهر في شكل .... واحتقار وتصغير للصور الوالدية وصعوبة تقمص الوالدين خاصّة من نفس الجنس (الأم).

فبناء على نتائج المقابلة مع الحالة "منال" ونتائج اختبار رسم العائلة بشقيه المتخيلة والحقيقية فإنّ الفرضية القائلة: قد يرتبط التفضيل الوالدي السلبي بنوعية تقمصات هشة وسلبية، تكون قد تحققت عند الحالة الأولى "منال".

أما عند الحالة الثانية "فرح" لم تحققت بشكل جزئي وهذا راجع إلى إختلاف التصريح في المقابلة العيادية و هو عكس إسقاطاتها في الرسم.

مناقشة الفرضية الثانية: "يرتبط التفضيل الوالدي الإيجابي بنوعية تقمصات مرنة وإيجابية"

لدراسة هذه الفرضية دراسة دقيقة لابد من الرجوع إلى الدراسة الخارجية للرسم، فقد اعتمدنا على اختبار رسم العائلة المتخيلة واختبار رسم العائلة الحقيقية وكذا المقابلة العيادية النصف موجهة.

فقد جاءت النتائج كالتالي:

ظهر عن الحالة الثالثة "مريم" التقدير والرفع من قيمة الوالدين بشكل واضح، حيث بدأت برسم الأم ثمّ الأب في العائلة الحقيقية وكذا رسم التفاصيل وعدم وجود اختصار للجسم.

وهذا ما صرحت به الحالة من خلال المقابلة النصف موجهة في قولها "بابا وماما يحبونا بزاف".

كذلك أظهرت الحالة "مريم" علاقة موجبة نحو علاقة الموضوع وطبيعته بنوع من التقدير لقيمة الوالدين في العائلة الحقيقية أمّا في العائلة الخيالية فأبدت نوعا من التصغير لقيمة الأب برسمه آخر شخص في العائلة.

ويتضح عدم وجود مشكلات أوديبية عن الحالة "مريم" في الرسم، حيث بدأت برسم الأم في العائلة الحقيقية وبدأت برسم نفسها في العائلة الخيالية وبالتالي عدم وجود اضطراب على صعيد التماهي.

كما لاحظنا من جهة أخرى من خلال أسئلة التفضيلات التماهيات عمن تريد الطفلة أن تكون مكانه في الرسم، حيث أرادت أن تكون محل الأم.

وبالتالي هذه النتائج تؤكد عدم وجود مشكلات أوديبية وعدم وجود اضطراب علاقة الموضوع.

وما استنتجناه من خلال الحالة أنّ الطفل يتعرض إلى تفضيل إيجابي لديه نوعية تقمصات مرنة وإيجابية وذلك نتيجة المعاملة الوالدية الجيدة التّي يتلقاها وهو ما يتفق مع ما توصل إليه "Freud" ناقش مصطلح التقمص مناقشة صريحة لأول مرة عام 1917، إذ

اعتـرف بالوظيفـة التعليميـة التّـي يقـوم بهـا الـتقمص لميكانزيمـات يـتم مـن خلالهـا الـتعلم الاجتماعي للطفل.

واعتباره الأساس الّذي يتند عليه وجهة النظر هذه في تفسير التعلم الاجتماعي هي إدراك الطفل للرعاية الوالدية والجو الأسري المحيط به لأنّ هذه الدعاية كما يدركها الأبناء هي حجر الزاوية في البناء النظري للتفسير (مصطفى أحمد تركي 1974) عن Freud (1917) ص119)، أمّا دراسة "محمود عبد القادر 1966": أثر الدفء العاطفي والانسجام الأسري على شخصية الطفل، فقد وجدت علاقة ارتباطية دالة بين تقبل الآباء لأبنائهم والانسجام الأسري، فقد كان الأبناء الّذين يعيشون في أسر يسودها الدفء العاطفي والتوفق الأسري أكثر تقبلا لذواتهم، وأكثر تحررا من عوامل القلق، كما أنّهم أكثر شعورا بالرضا. (محمد محمد بيومي خليل، 1999، ص17).

وانطلاقا من هذا يوضح ويدلوشر WIDLOCHER بأن الطفل مثلا يحدد نفسه بجنسه البيولوجي من جهة ومكانته يعني رتبته اتجاه الأب والجنس المقابل وتقمص الأب من نفس الجنس، هكذا ينتهي الأوديب الإيجابي المنظم للتوازن النفسي الفردي، فالوجود الفعال خلال هذه المرحلة الحاسمة هو كذلك مهم وجوهري لأنّ الأب عليه بتوفير لابنه صورة تقمصية جد جيدة ومقبولة من طرف الطفل حتّى يتمكن هذا الأخير من تقبل رجولته، ويرمز لها بالأب، أمّا عند البنات فإنّ الوجود الأبوي أو الوظيفة الأبوية تمكنها من اكتساب نموذج الأنوثة من خلال دور الأم التّي تكشفه برغبتها اللاشعورية في أخذ مكان أمها. (Chantal & anonga ? 2008 ? 47)

فبناء على نتائج المقابلات مع الحالة ونتائج اختبار رسم العائلة بشقيه المتخيلة والحقيقية فإنّ الفرضية القائلة: "يرتبط التفضيل الوالدي الإيجابي بنوعية تقمصات مرنة إيجابية" تكون قد تحققت عند الحالة المدروسة.

خاتمة:

خاتمة:

إنّه من خلال بحثنا المتمثل موضـــوعه في التفضـــيل الوالدي وعلاقته بطبيعة التقمصــات لدى الأطفال المتمدرسـين، والذي كان هدفه التعرف على العلاقة بين التفضـيل الوالدي الإيجابي والسـلبي وظهور التقمصـات المرنة الإيجابية والهشـة السـلبية عند الطفل، ومن خلال الفرضيات التّي قمنا بدراستها وجدنا أنّ الطفل يتأثر بكل ما يحدث داخل الأسرة، لذا فهو بحاجة لمناخ أسري سوي، لينمو بشكل سليم وبحاجة لإشباع حاجاته النفسية التّي كثيرا ما تهملها الأســرة لتجنب المشــكلات التّي من شــأنها أن تؤدي إلى اضــطرابات في التقمص عند الطفل.

الملاحق:

الملحق رقم 01: دليل المقابلة.

المحور الأول: علاقة المبحوثة بوالديها.

1) أحكيلي على علاقتك مع ماما وبابا؟

2) كيف كانت علاقتك معهم قبل السنوات الماضية؟

3) أحكيلي عن سبب المعاملة التي تتلقينها من قبل الأب والأم؟

المحور 02: علاقة المبحوثة بأخواتها.

1) أحكيلي على علاقتك بإخوتك؟

2) كيف ترين مكانتك بين إخوتك؟

3) ما هو شعورك اتجاه إخوتك؟

المحور 03: علاقة والدي المبحوثة ببعضهم البعض:

1) أحكيلي عن علاقة والديك ببعضهم البعض؟

2) من هو المسؤول عن النفقة في الأسرة؟

3)

المحور الرابع: الحياة الاجتماعية للمبحوثة.

1) كيف ترين نظرة الآخرين إليك؟

2) كيف تشعرين اتجاه تلك النظرة؟

3) كيف تودين أن تكون؟

الملحق 03: الأسئلة المطروحة بعد إجراء الرسم:

1- ما هو اسم كل شخص في الرسم وسنه.

2- ترقيم الأشخاص.

3- أين توجد العائلة.

4- ما يفعلون هؤلاء الأشخاص (مهمة كل شخص على حدة).

5- من هو الأكثر سعادة في الأسرة.

6- من هو الأكثر لطفا في العائلة.

7- من هو الأكثر فرحا في العائلة.

8- من هو الأقل سعادة في العائلة.

9- من هو الأقل لطفا في العائلة.

10- من هو الأقل فرحا في العائلة.

11- من هو الشخص الذي تريد أن تكون مثله في المستقبل؟ لماذا؟.

12- العلاقة بين الأشخاص:

- بين الأب والأم.
- بين الأب والأبناء.
- بين الأم والأبناء.
- بين الأبناء.

الملحق رقم 04: مقابلة مع الوالدين.

- وقد تم إجراء في هذا المحور مقابلات مع الوالدين منها مقابلة مع الوالد وقد تم التساؤل عن:

1) هل هناك مشاكل أسرية أثرت بدورها على حالة المبحوثة.

2) نوع المعاملة المنتهجة مع المبحوثة.

3) ما مدى تأثير هذه المعاملة على المبحوثة.

4) هل الوالد على علم بتأثيرات هذه المعاملة.

قائمة المصادر والمراجع:

المصادر والمراجع:

1- باسـمة المنلا،(1995)، رائس خروف القدم السـوداء، دراسـة في سـيكولجية الطفل المحروم من الحب، دار النهضة العربية، بيروت

2- باسـمة كيال: "سـيكولوجية الفتاة"، مؤسـسـة عز الدين للطباعة والنشـر، بيروت، الطبعة الأولى، 1973.

3- صـالح حسين الداهري وناهم هاشم العبيدي: "الشّخصية والصّحة النفسية"، دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، الطبعة الأولى، 1999.

4- عبد الرحمان سـي موسـي و محمد بن خلفة (2008)، علم النفس المرضـي التحليلي الإسقاطي "الأنظمة النفسية و مظاهرها في الاختبارات الاسقاطة"، ج1، ديان المطبوعات الجامعية، الجزائر.

5- عبد الرحمن محمد النجار: "أطفالنا ومشـكلاتهم النفسـية"، دار الفكر العربي، القاهرة، الجزء الرابع، 1997.

6- عبد المجيد سيد منصور وزكريا أحمد الشربيني: "علم النفس الطفولة"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1998.

7- علاق كريمة، (1999)، الصـورة الوالدية عند الطفل المتبول لا إراديا، رسـالة ماجستير (غير منشورة)، جامعة وهران. معهد علم النفس و علوم التربية.

8- علاق كريمة، (2012)، محاولة تقنين إختبار رسـم العائلة بسـتخدام تقنية رسـم العائلة المتخيلة و الحقيقة رسـالة دكتوراه، جامعى وهرا، معهد علم النفس و علوم التربية و الارطوفونيا.

9- عمار بوحوش، (2007)، مناهج البحث العلمي و طرق إعداد البحوث، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر.

10- فؤاد الدهي السـيد: "الأسـس النفسـية للنمو من الطفولة إلى الشـيخوخة"، دار الفكر العربي، القاهرة، 1997.

11- كمال دسـوقي: "النمو التربوي للطفل والمراهق"، دار النهضــة العربيّة، بيروت، 1979.

12- محمد أيوب الشـــحيمي: "دور علم النفس في الحياة المدرســـة"، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى، 1994.

13- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون: "الإطار النظري لدراسة النمو"، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1981.

14- محمد عماد الدين إسماعيل وآخرون: "الإطار النظري لدراسة النمو"، دار القلم، الكويت، الطبعة الأولى، 1981.

15- محمد محمد بيومي خليل: "ســيكولوجية العلاقات الأســرية"، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1999.

16- محمد مصـطفى زيدان ونبيل السـمالوطي: "علم النفس التربوي"، دار الشـروق، جدة، الطبعة الثانية، 1985.

17- نادية شرادي،(2011)، التكيف المدرسي للطفل و المراهق على ضوء التنظيم العقلي، ديوان المطبوعات الجامعية

18- نعيم الرفاعي: "الصّحة النفسية دراسة في سيكولوجية التكيف"، المطبعة الجديدة، دمشق، الطبعة الثالثة، 1972.

المراجع بالغة الأجنبية:

19. Anzieu (d) et chabert © , les méthodes projectives ,1987,p337.

20. Bardin L . (1997) lanalyse du contenu , edition du monde , paris .

21. benouny H, (2003) , le développement de lenfant et ses.

22. Chabert © le rorschach en clinique d'adultes interprétation psychanalytique ,1983,p140.

23. Chantal ,M & ntsell oranga – oubouno (2008) approche éthologique et psychopa –théologique de la chimique du passage a l'acte thèse du doctorat en psychologie clinique université de Poitiers http:/ these.edel.univ–poitiere.fr/ thèses (2008) obouno Chantal 19/02/2019 a 15:30 h

24. chiland c, (1985) l'entretien clinique ,P,V,F,paris.

25. Ed . pierre moulage .

26. Freud (s) essais de psychanalyse 1981,p168–170.

27. La planche (j) et pontalise (j–b) , vocabulaire de psychanalyse b, 1999, p187.

28. Martine € la préhistoire peut –elle éclairer sur l'acte créatif dans ses rapportes avec la mémoire? In psychologie médicale ,1994,p 785.

29. Pouron R –borelle M.(1997) fantasme. Action pense aux origines de la vie psychique semailles , société algérienne de la recherche en psychologie .

30. Wallon (P) cambier (a) ; Enyel hart (d);(1990) le dessin de l'enfant.

31. Widhocher , D, (1984) l'interprétation des dessins d'enfants .

فهرس المحتوى:

شكر	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي	
1- إشكالية البحث	**5**
2- فرضيات البحث	**6**
3- أسباب اختيار الموضوع	**7**
4- أهمية البحث	**7**
5- دراسات سابقة	**7**
الجانب النظري	
الفصل الأول التفصيل الوالدي	
تمهيد	10
1- تعريف الأسرة	11
2- مفهوم المعاملة الوالدية	11
3- التقصير العاطفي	14
4- العوامل المؤثرة على سلوك الوالدين اتجاه الأبناء	14
1- موقع الطفل في الأسرة	14
3-1-1 الطفل الأكبر	14
3-1-2 الطفل الثاني والثالث	15
3-1-3 الطفل الوحيد	15
3-1-4 الطفل الأصغر	15

2- أثر طفولة الوالدين على الأبناء	16
3- أثر جنس الطفل على سلوك الوالدين	17
4- الطفل والعلاقة بين الوالدين	18
4-1 علاقة طفل- أم	18
4-2 علاقة طفل- أب	19
5- أساليب المعاملة الوالدية	20
5-1 الإسراف في التدليل	20
5-2 الحرمان- الإهمال	20
5-3 التفرقة والتمييز في المعاملة- المفاضلة	21
5-4 التقبل الوالدي	21
6- غير الطفل من أخيه	22
7- انفعال الغيرة	25
الفصل الثاني طبيعة التقمصات	
تمهيد	32
1- مفهوم السياق التقمصي	33
2- تعريف التقمص	35
2-1 التقمصي أو المتاهي	36
3- أنواع التقمص	36
3-1 تماهي أولي	36
3-2 تماهي إسقاطي	37
3-3 تماهي بالمعتدي	37

4- التقمص وعوامل التطور النفسي- الجنس لدى الفرد	40
4-1 المرحلة الفمية	42
4-2 المرحلة الشرجية	45
4-3 المرحلة القضية	47
4-4 عقد أوديب وعقدة الخصاء	50
4-5 مرحلة الكمون	59
5- التمايز التقمصي لدى الجنسين	62
5-1 أصل التمايز التقمصي لدى الذكر	62
5-2 أصل التمايز التقمصي لدى الفتاة	65
خلاصة	
الفصل التطبيقي	
تمهيد.	**70**
1- المنهج.	**71**
2- دراسة حالة.	**73**
3- مكان الدراسة.	**73**
4- مجموعة البحث.	**73**
5- أدوات البحث.	**76**
6- المقابلة العيادية البحثية النصف موجهة.	**76**
7- طريقة تحليل محتوى المقابلة	**78**
8- اختبار رسم العائلة	**79**
أدوات	**81**

9- دراسة الحالة.	**84**
خاتمة	**123**
ملاحق	
قائمة المصادر و المراجع	
ملخص	

ملخص الدراسة:

تهدف دراستنا إلى الكشف عن الأثر الذي يربط بين التفضيل الوالدي وطبيعة التقمصات لدى الأطفال المتمدرسين من فئة 7 إلى 9 سنوات، والتي نقصد بها العلاقة التي تربط الطفل المتمدرس بوالديه وطبيعة التقمصات لديه ومدى تأثيرها من الناحية النفسية و العلائقية باستخدام المنهج العيادي مع ثلاث حالات لأطفال متمدرسين من جنس إناث، بالاعتماد على اختبار رسم العائلة كأداة للكشف عن الصور الهوامية للوالدين بالإضافة إلى المقابلة مع الأطفال من أجل جمع المعطيات عن الحالات وتطبيق الاختبار عليهم، حيث أظهرت نتائج الدراسة ما يلي:

- يرتبط التفضيل الوالدي السلبي بنوعية تقمصات هشة وسلبية، حيث نحقق منذ الحالة الأولى بشكل علني لم تتحقق عند الحالة الثانية لأن استجابتها كانت تنحى إلى التقاض الوجداني بدلا عن العلن.

- يرتبط التفضيل الوالدي الإيجابي بنوعية تقمصات مرئية وإيجابية لدى الطفل المتمدرس اتضح أن الحالة الثالثة ليست لديها صعوبة في تقمص الوالد من نفس الجنس وبالتالي نحقق عند الحالة الثالثة بشكل علني.

Résumé de l'étude:

Notre étude vise à révéler l'effet qui lie la préférence parentale et la nature du retard de croissance chez les enfants de la 7e à la 9e année, à savoir la relation entre l'enfant et ses parents, la nature de sa dépendance et son effet psychologique et relationnel en utilisant le programme clinique avec trois cas d'enfants Du sexe des femmes, sur la base du test de dessin de famille utilisé comme outil de détection des images parentales des parents, en plus d'un entretien avec des enfants pour collecter des données sur des cas et appliquer le test sur ceux-ci, où les résultats de l'étude ont montré que:

- La préférence parentale négative est associée à la qualité des syndromes fragiles et négatifs, ce que nous n'avons pas publiquement réalisé dans le second cas, car la réponse était émotionnelle plutôt que publique.
- La préférence parentale positive est associée à la qualité des sujets visuels et positifs chez l'enfant scolarisé: il s'avère que le troisième cas n'a pas de difficulté à élever le père du même sexe et que nous réussissons ainsi ouvertement dans le troisième cas.